عمر النص
دكتور في الحقوق



# الليل في الدّروب





# أبواب الليل

أفي الحَلَكِ المُرْبَدِّ تهدِرُ رِيبَتي
أمِ الرِّيحُ تبْكي في دُروبٍ بعيدَةِ
وأيُّ يَدٍ هَوْجاءَ يَبْعَثُها الصَّدى
فتَدْرأُ عَيْني بِالعُيونِ الغَريبَةِ
تَلَفَّتُّ فارْتاعَ السُّكونُ على فَمي
وَكِدْتُ مِنَ الإشْفاقِ أُمْسِكُ خَفْقَتي
أمُدُّ أمامي الطَّرْفَ وَاللَّيْلُ مُوحِشٌ
فَيُوغِرُ في جَفْنَيَّ نَظْرَةَ خيفَةِ

تَمُرُّ عَلَيَّ ٱلذِّكْرَياتُ فَأَنْطَوِي

أُجَدِّدُ فيها غُرْبَةً بَعْدَ غُرْبَةِ

أَطَلَّتْ علىٰ دُنْيايَ فَٱنْتَفَضَ ٱلْمَدىٰ

وَخِلْتُ عُيونَ ٱللَّيْلِ تَرْقُبُ حَيْرَتي

وَأَوْمَأَتِ ٱلْأَضْواءُ وَٱنْقَضَّ مارِدٌ

فَغالَ بِأَجْفاني بَقِيَّةَ يَقْظَةِ

وَصَعَّدْتُ أَبْصاري أُراوِدُ نَجْمَةً

وَأَبْحَثُ حَوْلي عَنْ طَريقٍ قَريبَةٍ . .

أَدُقُّ علىٰ أَبْوابِ لَيْلٍ مُغَلَّقٍ

تَئِنُّ علىٰ زَنْدي وَتُوهِنُ قَبْضَتي

أَصيحُ بِها وَٱلذِّكْرَياتُ شَواخِصٌ

فَتَبْرُزُ لي مِنْها عَجائِزُ جِنَّةِ

يُقَرِّبْنَ مِنْ وَجْهي ٱلسِّراجَ فَلا أرىٰ
سِوىٰ شَفَةٍ حَمْراءَ تُنْذِرُ مُقْلَتي
عَجائِزُ جِنٍّ يَنْتَحِبْنَ فُجاءَةً
فَأُبْصِرُ في أَحْداقِهِنَّ طُفولَتي ..
أَدُقُّ فَتَنْهارُ ٱلسُّدودُ عَلىٰ ٱلثَّرىٰ
وَيَدَّافَعُ ٱلْخُفَّاشُ مِنْ كُلِّ وِجْهَةِ
وَتُخْرَقُ أَسْتارٌ وَتَفْغَرُ ظُلْمَةٌ
تَمُرُّ بِها أَشْباحُ أَرْضٍ مُريبَةِ
مَواكِبُ شَتّىٰ ، تَشْرَئِبُّ ظِلالُها
فَيَعْثُرُ طَرْفي بِٱلطُّيوفِ ٱلْمُلِمَّةِ
يَكادُ ٱلصَّدىٰ ٱلْمَخْنوقُ يَصْرُخُ في دَمي
فَتَشْهَقُ أَنْفاسي وَتوغِلُ نَظْرَتي ..

هُنا بُرْكَةٌ سَوْداءُ جاعَ سَوادُها
وَسالَ عَلىٰ أَمْواجِها دَمُ نَجْمَةِ
وَهاوِيَةٌ يَعْشو إِلَيَّ يَراعُهـا
فَتَزْلَقُ أَقْدامي وَتَعْثُرُ خُطْوَتي
أُطيلُ بِها صَمْتي فَيَطْرُقُ مِسْمَعي
تَهانُفُ مَجْنونٍ وَصَرْخَةُ مَيِّتِ
وَغابَةُ أَحْداقٍ تَحَجَّرَ ماؤُها
فَلَمْ يَبْقَ في أَجْفانِها غَيْرُ دَمْعَةِ
تُحَدِّقُ في اللَّيْلِ الْمَخوفِ فَتَرْتَمي
عَلىٰ دَرْبِيَ الْمَصْعوقِ أَلْفُ شَظِيَّةِ
وَأَنْصابُ حُلْمٍ في الظَّلامِ أَتَيْتُها
أُمَرِّغُ أَهْدابي وَأَحْمِلُ تَوْبَتي

أَدُقُّ فَتَلْقاني ٱلشُّكوكُ بِبابِها

فَأَسْحَقُ قُرْباني وَأَخْنِقُ لَهْفَتي

وَفي ٱلدَّرْبِ خَمّارٌ يُشيرُ إِلىٰ ٱلذُّرىٰ

فَيَجْأَرُ في أَقْداحِهِ فَمُ كَرْمَةِ

أَلَمَّ بِهِ ٱلسُّمّارُ ذاتَ عَشِيَّةٍ

فَلَمْ يَجِدوا في ٱلزِّقِّ غَيْرَ بَقِيَّةٍ . .

وَقَصْرٌ تَزِفُّ ٱلرّيحُ فَوْقَ بُروجِهِ

وَتَطْرِفُ في أَبْهائِهِ عَيْنُ بُومَةِ

تَرَحَّلَ عَنْهُ ساكِنوهُ وَلَمْ يَزَلْ

يُحَدِّثُ عَنْ أَسْرارِهِ كُلَّ نَسْمَةِ

وَأَغْوارُ قَبْوٍ قَدْ تَأَكَّلَهُ ٱلْبِلىٰ

وَبَحَّتْ عَلىٰ جُدْرانِهِ ٱلصُّمِّ صَرْخَتي

أُقلِّبُ فيهِ ٱلعَيْنَ أَطْلُبُ نَجْوَةً
فَأُبْهَتُ حَوْلي بِالجِّباهِ ٱلْحزينَةِ
وَعَرّافَةٌ شَمْطاءُ شاهَ جَبينُها
وَأَطْفَأَ عَيْنَيها وُجومُ ٱلْعَشِيَّةِ
تَلوكُ بِشِدْقَيْها جَناحَ يَمامَةٍ
وَتَعْصِبُ زَنْدَيْها بِجُفْرَةِ حَيَّةِ
أَمُدُّ لَها كَفّي فَيَزْعَقُ طائِرٌ
وَتُرْجِفُ في غَوْرِ ٱلظَّلامِ سَكينَتي
أَنا الطّارِقُ ٱللّيْليُّ عُلِّقَ طَرْفُهُ
عَلىٰ أُفُقٍ لَمْ يَنْدُ بَعْدُ لِمُقْلَةِ
أَدُقُّ عَلىٰ ٱلأَبْوابِ أَسْأَلُ مَنْ أَنا
وَأُنْفِقُ في ٱلدَّرْبِ ٱلشَّحيحِ فُتُوَّتي

أُفَتِّشُ عَنْ لا شَيْءَ .. عَنْ حُلْمِ خالِقٍ
تُؤَرِّقُـــهُ أَشْـواقُ روحٍ سَجينَـةِ
إِذا ٱخْتَنَقَتْ في نـاظِرَيْـهِ حَقيقَـةٌ
تَداعَتْ لَها في ٱلْـقَلْبِ أَلْفُ حَقيقَـةِ ..
وَأَوْمَـأْتُ أَسْتَجْدي ٱلسَّماءَ فَأَجْهَشَتْ
وَراءَ ٱلْغُيومِ ٱلـرُّبْـدِ أَرْفَـعُ قِمَّـةِ
وَصَلْصَلَتِ ٱلْأَغْلاقُ وَٱنْقَضَّ كَوْكَبٌ
وَأَنَّ الصَّدىٰ ٱلْمَـخْنوقُ في كُـلِّ بُقْعَـةِ
وَغُلِّقَتِ ٱلْأَبْوابُ وَٱمَّحَتِ ٱلـرُّؤىٰ
وَكِـدْتُ مِنَ ٱلإِعْيـاءِ أُنْـكِرُ وَقْفَتي
وَنادَيْتُ: مَنْ هٰـذا ..؟ فَلَمْ أَعِ فَجْأَةً
سِوىٰ ٱلرّيحِ تَبْـكي في ٱلدُّروبِ ٱلْبَعيدَةِ !

١٩٥٤

# الرسالة الزرقاء

أأنْتِ كَتَبْتِ أحْرُفَها أأَنْتِ
وَكَيْفَ كَتَبْتِها ولِمَنْ كَتَبْتِ
ألي هٰذا ٱلْأَريجُ يَدُقُّ بابي
وَيَقْهَرُ وَحْشَتي وَيَدُكُّ صَمْتي
تَضَوَّعَ في ٱلسُّطورِ فَكِدْتُ أنْسىٰ
بِهِنَّ مَرارَةِ ٱلزَّمَنِ ٱلْمُشتِّ
وَكُنْتِ تُعَلِّلينَ بِها عُيوني
إذا نَأَتِ ٱلدِّيارُ فَهَلْ ذَكَرْتِ..
أُقَبِّلُها .. وَأَدْفِنُها بِصَدْري
كَأَنَّكِ خَلْفَ أحْرُفِها ٱسْتَتَرْتِ !

وَقيلَ : رِسالَةٌ ! فَأَصاخَ قَلْبي
وَهَزَّ جَوانِحي قَلَقٌ وَخَفْقُ
فَضَضْتُ غِلافَها فَبَكىٰ شَبابٌ
وَأَنَّ تَجَلُّدٌ وَأُنْهارَ شَوْقُ
فَثَمَّ دُعابَةٌ .. وَهُناكَ خَطٌّ
يَدورُ مَعَ ٱلْحُروفِ وَيَسْتَدِقُّ
وَثَمَّةَ لَفْظَةٌ مُحيَتْ .. وَأُخْرىٰ
أَطاحَ بِها ٱلْيَراعُ فَضاعَ شِقُّ
أَهيمُ خِلالَهـا فَتَهي سُدودٌ
وَيُفْتَحُ عالَمٌ وَيُضيءُ أُفْقُ !

أَكانَ ٱللَّيْلُ يَعْلَمُ أَيَّ سِرٍّ
تنوءُ بِهِ ٱلضُّلوعُ أَكانَ يَعْلَمْ ؟
أَكانَ يَرِقُّ لِلذِّكرِ ٱلْحَيارىٰ
وَيُطْرِقُ وَهْيَ ثائِرَةٌ وَيَأْلَمْ ..
حَكىٰ لِيَ عَنْ تَنَهُّدِها دُجاهُ
فَكَيْفَ حَنا عَلَى يَدِها وَسَلَّمْ
أَما لَثَمَ ٱلْأَنامِلَ مُرْعَشاتٍ
أَما نَشَقَ ٱلْعَبيرَ .. أَما تَكَلَّمْ
أَما ٱخْتُضِرَ ٱلسِّراجُ عَلىٰ لُهاثٍ
يُزَلْزِلُ هَدْأَةَ ٱللَّيْلِ ٱلْمُنَعَّمْ ؟!

دَعَوْتُكِ وَٱلرَّبيعُ يَطُلُّ زَهْري

وَقَلْبُكِ في ٱلْقُيودِ يَدوسُ زَهْرَهْ

أَضاعَ ٱلذِّكْرَياتِ فَهَمَّ يَشْكو

وَأَوْشَكَتِ ٱلظُّنونُ تَهُدُّ صَبْرَهْ

وَضَجَّ بِهِ ٱلْحَنينُ فَباحَ دَمْعٌ

أَكادُ عَلَى ٱلْحُروفِ أُحِسُّ كِبْرَهْ

وَثارَ عَلَى ٱلْجِّراحِ مُرَوَّعاتٍ

وَأَشْفَقَ أَنْ يُبيحَ لَهُنَّ سِرَّهْ

تَجَلَّدَ ما تَجَلَّدَ .. ثُمَّ فاضَتْ

لَواعِجُهُ وَنَدَّتْ مِنْكِ زَفْرَهْ ..

وَقُلْتِ : شَقِيَّة ! فَذَكَرْتُ أَمْسي
وَكِدْتُ أُحِسُّ في ٱلْوَرَقِ ٱرْتِعاشَهْ
أَأَنْتِ شَقِيَّةٌ ؟ فَلِمَنْ هَزارٌ
يُمَهِّدُ في حَدائِقِنا عِشاشَهْ
لِمَنْ هٰذا ٱلنُّوارُ هَمى شَذاهُ
وَمَدَّ بِكُلِّ رابِيَةٍ فِراشَهْ
لِمَنْ هٰذا ٱلصَّباحُ يَغارُ مِنّا
وَيَنْهَلُ مِنْ بَشاشَتِنا بَشاشَهْ
يُقَلِّدُهُ ٱلرَّبيعُ نِطاقَ وَرْدٍ
وَتَهْزَجُ في مَواكِبِهِ فَراشَهْ . .

أأنْتِ شَقِيَّةٌ ! فلِمَنْ نُجومٌ
تَلوبُ عَلَى محاجِرِنا ٱلشَّجيَّهْ ..
فَرَشْتُ لَكِ ٱلطَّريقَ تِلالَ نَوْرٍ
وَجِئْتُ بِكُلِّ زَنْبَقَةٍ نَدِيَّهْ
وَراحَ ٱللَّيْلُ يَحْلُمُ في جُفوني
وَتَخْتالُ ٱلْغيومُ عَلَى يَدَيَّهْ ..
أأنْتِ شَقِيَّةٌ ! وَلَدَيْكِ راعٍ
تحومُ عَلَيْكِ نَظْرَتُهُ ٱلْوَفِيَّهْ
يُوَشْوِشُ في ٱلصَّباحِ لكِ ٱلتَّحايا
وَيَنْسِجُ لِلْمَساءِ رُؤًى سَنِيَّهْ !

رِسالَتُكِ ٱلأَنيقَةُ ! أَيُّ حُلْمٍ
يَشُقُّ لِيَ ٱلدُّروبَ وَأَيُّ بُشْرىٰ
أَوَيْتُ لَهَا أُرَدِّدُ كُلَّ حَرْفٍ
وَأَفْتَحُ في ٱلْجُفونِ لَهَا مَقَرَّا
أُقَلِّبُهَا .. فَتَنْهَمِرُ ٱلدَّراري
وَتَمْتَلِىءُ ٱلطَّريقُ نَدىً وَعِطْرا
وَأَفْتَحُهَا فَيُدْرِكُني ذُهولٌ
فَأَقْرَأُ تارَةً وَأَهيمُ أُخْرىٰ
وَأَحْمِلُها فَتَسْكُنُ في ظُنوني
وَتوقِرُ أَضْلُعي قَلَقاً وَشِعْرا ..

اتِلْكَ قُصاصَةٌ ؟ أأَنا خَيالٌ
تَهُمُّ شُجونُهُ فَتَكادُ تَحْكي
يَكادُ ٱلْأَمْسُ يَلْهَثُ في عُروقي
وَيَزْرَعُ في جُفوني أَلْفَ شَكٍّ
بَعَثْتِ بِهـا إلَيَّ فَجُنَّ شَوْقي
وَنُؤْتُ بِوَحْشَتي وَسَئِمْتُ نُسْكي
فَأَتْرُكُها عَلىٰ رَهَقٍ وَأَمْنٍ
وَتَتْرُكُني عَلىٰ قَلَقٍ وَفَتْكِ
أحاوِلُ أَنْ أُكَلِّمُها فَأَعْيا
فَأَقْرَأُ ثُمَّ أَقْرَأُ .. ثُمَّ أَبْكي !

١٩٥٤

# أمّنا الأرض

لَمْ يَبْقَ لِلأَرْضِ غَـــدُ

فَلتُنْدِرِكِ ٱلْجُرْحَ يَـدُ

الفَجْرُ كابٍ وَٱلنَّدىٰ.. مُرَوَّعٌ.. مُهَدَّدُ

وَٱلْقُبَّةُ ٱلزَّرْقاءُ في غُرْبَتِها تَرْتَعِدُ

وَفي ٱلدُّروبِ قِصَّةٌ تُرْوىٰ.. وَظِلٌّ مُجْهَدُ!

ماذا أرىٰ ؟هٰذي يَدي تُشْفِقُ مِمّا تَجِدُ

أَنامِلٌ سالَ بِها ٱلشَّكُّ فَكادَتْ تَقِدُ

وَخَمرَة في أَعْيُنِ ٱلنّاسِ تَكادُ تَنْفَدُ
وَناظِرٌ مُقَنَّعٌ .. عَلىٰ ٱلطَّريقِ رَصَدُ
أَيُّ فَمٍ مُخْتَنِقٍ يُجْأَرُ فيهِ ٱلمَوْعِدُ !
اللَّيْلُ قَدْ هَمَّ بِنا فَهَلْ يَنوءُ ٱلعَضُدُ
هٰذي رُؤىٰ عالَمِنا ضاقَ بِهِنَّ ٱلْأَمَدُ
هَيا كِلٌ تَنْبَحُها ٱلرّيحُ .. وَبابٌ موصَدُ
وَمُقْلَةٌ حَمْراءُ في ٱللَّيْلِ أَطَلَّتْ تَشْهَدُ
وَوَثَنٌ جُنَّ بِهِ ٱلنّاسُ .. وَعَبْدٌ سَيِّدُ
وَظُلْمَةٌ أَنَّ بِها ٱلصَّمْتُ فَضَجَّ ٱلأَبَدُ
وَجَفَّتِ ٱلْأَدْمُعُ في ٱلْعَيْنِ وَغُمَّ ٱلْمَقْصِدُ
وَجُنَّ في ٱلْأَرْوِقَةِ ٱلْخُرْسِ غُرابٌ كَمِدُ ..
وَٱلْجَذْوَةُ ٱلْكُبْرىٰ خَبَتْ وَلَمْ تَكَدْ تَتَّقِدُ

أَطْفَأَها في ٱلْهَيْكَلِ ٱلْمَقْرورِ لَيْلٌ مُرْعِدُ
وَٱلْقلبُ في وَحْدَتِهِ .. مُعَذَّبٌ .. مُقَيَّدُ
وَفي ٱلطَّريقِ شَبَحٌ يَسْأَلُ ماذا يَعِدُ ..
ماذا يَقولُ ٱللَّيْلُ إِنْ عَرْبَدَ صَوْتٌ نَكِدُ
وَٱخْتَنَقَتْ عَلَى ٱللِّهاةِ صَيْحَةٌ تُرَدَّدُ
وَأَوْمَأَتْ في عَشْوَةِ ٱلدَّرْبِ يَدٌ تَرْتَعِدُ ؟
أَتَجْحَدُ ٱلظُّلْمَةُ مِنْ آياتِنا ما تَجْحَدُ
وَيُطْبِقُ ٱللَّيْلُ .. وَفي ٱلْهُدْبِ رَبيعٌ سَرْمَدُ !
كُنّا وَكانَ ٱلْوَرْدُ في راحاتِنا يَحْتَشِدُ
كانَ لَنا ٱلْحَقْلُ ٱلْكَبيرُ .. وَٱلرُّبى .. وَٱلْوُهُدُ
وَكانَ كُلُّ فَرْقَدٍ يَحْنو عَلَيْهِ فَرْقَدُ
كانَ لَنا جَنائِنٌ يَحْلو بِهِنَّ ٱلسَّهَدُ

وَسَرْوَةٌ عَلَى ٱلضِّفَـــافِ نَزَلَتْ تَبْتَرِدُ

وَطَائِرٌ مُهاجِـرٌ . . مَعَ ٱلرَّبِيعِ يَفِـدُ

وَغَيْمَـةٌ ضاحِكَـةٌ يَسْأَلُ عَنْهـا ٱلْمَوْرِدُ

وَمَوْعِدٌ مَعَ ٱلشَّذىٰ . . مُؤَكَّدٌ . . مُخَلَّدُ

كُنّا نَعيشُ ٱلشَّوْقَ . . وَٱلشَّوْقُ غَدٌ مُمَهَّـدُ

وَنَتْبَعُ ٱلنَّجْمَ إِذا أَوْمَـأَ نَجْمٌ مُجْهَدُ

كُنّـا نَعيشُ ٱلْحُلْمَ . . وَٱلْحُلْمُ رُؤىً تَطَّرِدُ

وَنَصْدَعُ ٱللَّيْـلَ إِذا عَسْعَسَ لَيْلٌ أَرْبَدُ

كَأَنَّ أَلْفَ كَوْكَبٍ تُولَدُ حِـينَ نُولَدُ . .

ماذا دَهىٰ ٱلْأَرْضَ . . وَزَنْدي لَمْ يَزَلْ يُشَيِّدُ ؟

أَيَشْهَقُ ٱلطَّلُّ عَلَى ٱلْوَرْدِ . . أَيَخْبو ٱلْفَرْقَدُ

أَتَخْفُتُ ٱلصَّيْحَةُ فِي فِيَّ وَيَبْكي ٱلْجَلْمَدُ !

أَنا عَلى ٱلنَّجْمِ ٱلْبعيدِ .. مُطْرِقٌ .. مُسَهَّدُ
أَرودُهُ بِناظِرٍ .. أَرَّقَهُ ٱلتَّمَرُّدُ
أُقَلِّلُ ٱلطَّرْفَ فَتَفْتَرُّ ٱلرُّؤى وَتَنْهُدُ
هٰذي يَدي تَحْنو عَلَى ٱلْبَحْرِ .. فَيَعْلو ٱلزَّبَدُ
أَمُدُّها فَيورِقُ ٱلصَّخْرُ وَيَنْدى ٱلْفَدْفَدُ
أَنْثُرُ مِنْ أَنْمُلِها ٱلْحُلْمَ فَيَغْفو ٱلْأَبَدُ
وَأَحْمِلُ ٱلصُّبْحَ وَزَهْوَ ٱلصُّبْحِ حينَ يَصْعَدُ
وَخُضْرَةَ ٱلْقَمْحِ إِذا ٱنْهَلَّتْ غُيومٌ حُشَّدُ
وَلَهْفَةَ الرّيحِ إِذا ٱحْلَوْلَكَ يَمٌّ مُزْبِدُ
وَأَيْكَةً تَسْرُدُ في نَشْوَتِها ما تَسْرُدُ ..
أَيُطْبِقُ ٱللَّيْلُ .. وَفي عَيْنَيَّ قَدْ شَعَّ غَدُ !؟
ٱلظِّلُّ ظِلّي في ٱلطَّريقِ .. وَٱلتُّرابُ مَوْعِدُ

أَتَيْتُ أَسْتَلُّ ٱلنُّجومَ .. وَٱلنُّجومُ أُبَّدُ

جَفْنٌ يُنَدِّيهِ ٱلْهَوىٰ وَعَزْمَةٌ تَتَّقِدُ

وَجَبْهَةٌ ضَجَّ بِها ٱلْكِبْرُ .. وَبَحَّ ٱلْجَلَدُ

وَلَمْ أَزَلْ عَلَى ٱلدُّروبِ أَرْتَمي وَأَجْهَدُ

تُؤَرِّثُ ٱلنَّارَ يَدٌ .. وَتَبْذُرُ ٱلْحُبَّ يَدُ !

١٩٥٥

# أمطار

كُنّا نُصيحُ ! وَكانَتِ ٱلْأَمْطارُ دافِقَةً سَخِيَّهْ
وَٱلرِّيحُ تَصْفِرُ .. وَٱلظِّلالُ تَمُرُّ مُتْعَبَةً شَجِيَّهْ
وَعَلَى ٱلْعُيونِ تَلَفُّتٌ باكٍ .. وَأَشْواقٌ عَتِيَّهْ !
كُنّا نُصيحُ .. أَتَذْكُرينَ ؟
وَكُنْتِ ذاهِلَةً .. قَصِيَّهْ
عَيْناكِ تائِهَتانِ .
تَضْطَرِبانِ إِنْ رَنَتا إِلَيَّهْ
عَجَبًا ! أُذَكِّرُكِ ٱلْعُهودَ .. فَتُمْسِكينَ بِراحَتَيَّهْ

وَأُسِرُّ في أُذُنَيْكِ أُمْنِيَةً مُعَذَّبَة .. نَدِيَّهْ
ماذا أرى! هٰذا ٱلْفَمُ ٱلْمُرْتابُ يَجْرَحُ ناظِرَيَّهْ
أَتُقاوِمينَ؟ جِراحُكِ ٱلْبَكْماءُ لا تَخْفَى عَلَيَّهْ!
هَلْ تَذْكُرينَ تَأَوُّهَ ٱلْإِعْصارِ في تِلْكَ ٱلْعَشِيَّهْ؟
حَدَّقْتِ بي! فَرَأَيْتُ مَقْبَرَةً تُطالِعُ مُقْلَتَيَّهْ
وَغَمامَةً دَكْناءَ يَهْرِقُها الظَّلامُ على يَدَيَّهْ
وَزَفَرْتِ.. فَٱنْتَحَرَتْ عَلَى ٱلشَّفَتَيْنِ وَشْوَشَةٌ خَفِيَّهْ
وَصَمَتِّ.. فَٱنْهَدَّ الظَّلامُ وَحَشْرَجَتْ سُرُجٌ قَصِيَّهْ
وَرَأَيْتُني وَحْدي أَضُمُّ رُفاتَ أُمْنِيَةٍ شَقِيَّهْ
وَأُحِسُّ ظِلَّ جَنازَةٍ خَرْساءَ يَعْبُرُ ناظِرَيَّهْ
.........................
كُنا نُصيخُ! وَكانَ في عَيْنَيْكِ أَمْطارٌ سَخِيَّهْ!

١٩٥٤

# هي

## ١

مَتىٰ يَطْلُعُ ٱلنَّجْمُ ؟ إِنّي ظَمي
أَفي ٱللَّيْلِ دَرْبُكِ أَمْ في دَمي
طَريقُكِ خُطَّ عَلَى مَحْجَرِيَّ
فَلَوْ جِئْتِ قَبْلِيَ لَمْ يُرْسَمِ !
خُلِقْتِ فَدَبَّ ٱلْهَوىٰ في ٱلْعُروقِ
وَأَجَّ مِنَ ٱلشَّوْقِ في أَعْظُمي
فَلَمْ أَرَ غَيْرَكِ في ناظِرَيَّ
وَلَمْ أَعِ غَيْرَ ٱلْهَوىٰ في فَمي

أُحِسُّكِ في ٱلظَّنِّ أَنِّيٰ أَسْتَقَرّ

فَيوشِكُ سِرُّكِ أَنْ يَرْتَمي

وَفي ٱللَّيْلِ يَلْهو عَلَى ساعِدَيَّ

فَتَزْحَمُ أَنْجُمَهُ أَنْجُمي

وَفي ٱلجَفْنِ يَشْرَقُ بِٱلذِّكْرَياتِ

فَيُطْبِقُ فَوْقَ غَدٍ مُبْهَمِ

فَأَنْتِ هُنا مُنْذُ كانَ ٱلوُجودُ

وَأَنْتِ هُنا قَبْلَ أَنْ تَعْلَمي

جَبينٌ يُكَلِّلُني بِالْخُلودِ

وَهُدْبٌ يُهَلُّ لَهُ مَوْسِمي

وَحُلْمٌ أَبوحُ بِهِ لِلنُّجومِ

فَأَسْمَعُ أَنَّتَها في دَمي !

## ٢

أَأَذْكُرُ مَنْ أَنْتِ ؟ وَٱلْكِبْرِياءْ
تُرِيدُ لِحُبِّكِ أَنْ يُكْتَمْ
إذا ما ذَكَرْتُكِ هَلَّ ٱلرَّبِيعُ
وَرَقَّ ٱلزَّمانُ وَتابَ ٱلْأَلَمْ
وَمُدَّ لِيَ ٱلْأُفْقُ حَتّىٰ رَأَيْتُ
بُزوغَ ٱلْحَياةِ وَبَدْءَ ٱلْعَدَمْ !
أَلُمُّ ٱلْعُصورَ عَلَى ناظِرَيَّ
وَأَسْمَعُ غَمْغَمَةً في ٱلْعَتَمْ

وَوَسْواسَ حُورِيَّةٍ تَشْرَئِبُّ

وَراءَ ٱلْغَمامِ وَفَوْقَ ٱلْأَكَمْ

تُنَقِّلُ رِجْلَيْنِ مَسْحورَتَيْنِ

وَتَمْسَحُ جَبْهَتَها بِالدِّيَمْ

أُصيخُ لِخَلْجَتِها في ٱلدُّروبِ

وَأَسْمَعُ أَنْفاسَها في ٱلظُّلَمْ

أَظَلُّ إذا ما ٱرْتَمَتْ في ٱلْغُيومِ

أُحِسُّ بِناظِرِها لَمْ يَنَمْ . .

أَهُمُّ أُعانِقُها في ٱلظَّلامِ

فَيَصْرُخُ قَلْبٌ وَيَشْهَقُ فَمْ

أَمُدُّ يَدي فَتَزِلُّ ٱلنُّجومُ

وَيَبْكي ٱلدُّجى وَتَئِنُّ ٱلْقِمَمْ !

## ٣

لِماذا أُحِبُّكِ ؟ إنَّ ٱلْوُجودَ
وُجودُكِ فِيَّ .. فَهَلْ تَعْلَمينْ
هُنا في دَمي تَأْخُذينَ ٱلطَّريقَ
هُنا تَسْكُنينَ .. هُنا تَخْتَفينْ
هُنا في دَمي .. في ٱلعُروقِ ٱلظِّماءِ
هُنا في ٱلْعُيونِ هُنا في ٱلْجَبينْ
خُلِقْتِ لِخَوْفي .. لِلْذِكْرَياتِ
لِغُصَّةِ حُلْمٍ ضَنينٍ .. ضَنينْ

لِجَفْنٍ أُمَزِّقُهُ بِٱلشُّكوكِ
وَجَفْنٍ أُهَدْهِدُهُ بِٱلْيَقينْ
لِقَلْبَيْنِ طِفْلَيْنِ .. لِلْكِبْرِياء
لِوَمْضِ ٱلْمُنىٰ .. لِٱفْتِرارِ ٱلسِّنينْ !
أَتَيْتِ وَكانَ ٱلْهَوىٰ في ٱلْفُؤادِ
يُهيبُ بِمَوْعِدِهِ أَنْ يَحينْ
وَما زِلْتِ في ناظِري تَكْبُرينَ
وَيَكْبُرُ حُبٌّ وَيَقْوىٰ حَنينْ
أَضُمُّكِ حَتّىٰ يَغيبَ ٱلْوُجودُ
وَأُمْطِرُ عَيْنَيْكِ بِٱلْياسَمينْ
وَأُبْحِرُ في لَيْلِكِ ٱلْمُخْمَلِيِّ
عَلَى قَمَرٍ مُخْمَلِيٍّ حَزينْ !

٤

تَبارَكْتِ يا أُخْتُ! لَوْ لَمْ أُحِبَّ
أَكُنْتُ أُطيقُ الْوُجودَ الْقَلِقْ
أَكُنْتُ أُزَوِّقُهُ بِالنُّجومِ
وَأَفْرُشُهُ بِالرَّبيعِ الْوَرِقْ
أَكُنْتُ أَلُمُّ جِراحَ الْمَساء
وَأَبْكي الْغُيومَ الَّتي تَحْتَرِقْ!
أَكُنْتُ أُطيقُ انْقِباضَ الشِّتاء
وَعَرْبَدَةَ الْمَطَرِ الْمُنْدَفِقْ

تبارَكْتِ يا أُخْتِ! لَوْ لَمْ أُحِبَّ
أَكُنْتُ أُطيقُ ٱلسَّرابَ ٱلْأَزرقْ
أَكُنْتُ أُطيقُ ٱصْطِخابَ ٱلظُّنونِ
وَأَتْرُكُهــا في دَمي تَعْتَنِقْ
أَكُنْتُ أَخوضُ دُروبَ ٱلْحَياةِ
وَأَحْمِلُ أَشْواكَها إِنْ تَضِقْ
أَكُنْتُ أُحِسُّ ٱنْتِشاءَ ٱلْكُرومِ
وَأَنْشَقُ طيبَ ٱلْجِراحِ ٱلْعَبِقْ
أَكُنْتُ أُحِبُّ ٱلْفَضاءَ ٱلْعَريضَ
وَأَعْــدو وَراءَ ٱلْفَراشِ ٱلنَّزِقْ
تَبارَكْتِ يا أُخْتُ! لَوْ لَمْ أُحِبَّ
أَكُنْتُ أُطيقُ ٱلْوُجودَ ٱلْقَلِقْ!

## ٥

وَقيلَ: تُرى لَوْ خَلَقْتُ ٱلْوُجودَ..
فَخِلْتُ يَدَ ٱللهِ مُدَّتْ لَنا
وَقيلَ: هَلا! فَٱشْرَأَبَّ ٱلصَّباحُ
وَنَدّى بِأَطْيابِهِ دَرْبَنا
وَجِئْنا صَغيرَيْنِ نَرْعى ٱلْغُيوبَ
وَنَحْبِسُ أَخْبارَها عِنْدَنا
نُفيقُ عَلى ٱلْحُبِّ في ٱلنّاظِرَيْنِ
وَنُغْلِقُ بِٱسْمِ ٱلْهَوى طَرْفَنا!

وَقيلَ : هُوَ ٱلبَدْرُ شَقَّ ٱلغُيومَ

وَمَدَّ ذَوائِبَهُ فَوْقَنا

وَدارَ بِشَلّالِهِ ٱلزَّنبَقِيّ

وَراحَ يَرُشُّ بِهِ يَبْتَنا

وَقيلَ : ٱلسَّماءُ ٱزْدَهَتْ بِٱلنُّجومِ

لِتَنْشُرَ أَضْواءَها حَوْلَنا

وَقيلَ : ٱلْهَوىٰ كانَ قَبلَ ٱلوُجودِ

وَقيلَ : ٱلْهَوىٰ لَمْ يَكُنْ قَبْلَنا

وَقيلَ لَنا أَنْ نَجوبَ ٱلدُّروبَ

وَنَعْبُرَها مَوْطِناً مَوْطِنا

وَقيلَ لَنا وَحْدَنا أَنْ نُحِبَّ

فَكَيْفَ يَعيشُ ٱلْهَوىٰ بَعْدَنا ؟!

## ٦

تبارَكْتِ ياأُخْتُ ! مالي أحِسُّ
كَأَنَّ ٱلـنَّدىٰ في يَـدَيَّ ٱحْتَرَقْ
أَهٰذا أَريجُكِ أَغْوىٰ ٱلْفَراشَ
وَسَدَّ ٱلدُّروبَ وَرَشَّ ٱلْوَرَقْ
أَكادُ أَلُمُّ خُيوطَ ٱلْغَمامِ
وَأَجْني ٱلشَّذا وَأَضُمُّ ٱلْأَلَقْ
فَرَشْتِ لِيَ ٱلدَّرْبَ بِٱلذِّكْرَياتِ
فَذُقْتُ ٱلْهَوىٰ وَعَرَفْتُ ٱلْأَرَقْ

وَأَغْلَقْتُ طَيْفَكِ في ناظِرَيَّ

فَعَبَّ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَتّىٰ شَرِقْ !

أَكادُ أَرىٰ شَفَةً تَطْمَئِنُّ

وَأُخْرىٰ تُعاتِبُني في قَلَقْ

وَجَفْنًا يَضِجُّ بِهِ ٱلْعُنْفُوانُ

وَتَنْدىٰ ٱلرِّمالُ إِذا ما نَطَقْ

أَلوبُ عَلىٰ زُرْقَةٍ في ٱلْعُيونِ

وَأَغفو عَلىٰ حُلُمٍ يُسْتَرَقْ

وَإِيماءَةٍ تَصِلُ ٱلْمَشْرِقَيْنِ

وَتُدْني ٱلسَّماءَ وَتَجْلو ٱلْغَسَقْ

وَوَعْدٍ عَلىٰ شَفَةٍ يَشْرَئِبُّ

أَكادُ أُقَبِّلُهُ بِٱلْحَدَقْ !

٧

أَعَيْنُكِ تَسْأَلُني أَنْ أنامَ
وَأُنكِرَ هٰذي ٱلرُّؤى ٱلْمُرْهَقَهْ؟
سَماؤكِ مُثْقَلَةٌ بِٱلْغُيومِ
وَدَرْبُكِ مُوحِشَةٌ ضَيِّقَهْ
وَأَنْتِ هُنا.. في زِحامِ ٱلطَّريقِ
تَلوبينَ حائِرَةً مُطْرِقَهْ
أَضُمُّ عَلَيْكِ سِنِيَّ ٱلظِّماءِ
وَلَهْفَةَ أَيّامِيَ ٱلرَّيِّقَهْ

وَأَغْفو وَلِلشَّوْقِ في ناظِرَيَّ
تَنَهُّدُ سافِيَةٍ مُحْرِقَهْ..
هُوَ ٱلْقَلْبُ نَدٌّ وَراءَ ٱلشُّكوكِ
فَقولي لِطَرْفِكِ أَنْ يَصْدُقَهْ
تَرَكْتُ لِجَفْنِكِ غَزْلَ ٱلْبَريقِ
فَأَيُّ ضَبابٍ تُرىٰ أَغْرَقَهْ
وَكَيْفَ تُريدينَ أَنْ أَطْمَئِنَّ
وَهٰذي ٱلظُّنونُ بِنا مُحْدِقَهْ
أَمُدُّ يَدَي لِلظَّلامِ ٱلْكَبيرِ
وَأَخْدِجُ آفاقَهُ ٱلْمُغْلَقَهْ
فَعَيْنٌ تُحاوِلُ هَتْكَ ٱلْغُيوبِ
وَعَيْنٌ مُؤَرَّقَةٌ مُشْفِقَهْ!

## ٨

أَجَلْ ! أَنا باقٍ أُجيلُ ٱلْعُيونَ
وَأَرْقُبُ كُلَّ فَمٍ يَبْغَتُ
أَكادُ أَرى ٱلشَّوْكَ يُدمي ٱلْوُرودَ
فَيَغْلي دَمي عِنْدَما تَنْبُتُ
وَأُصْغي فَتَشْهَقُ في ناظِرَيَّ
فُلولُ رُؤًى أَوْشَكَتْ تُفْلِتُ
وَتَقْتافُني في زَوايا ٱلدُّروبِ
ظِلالٌ تَنوءُ بِما تَكْبُتُ

تُرى مَنْ يَئِنُّ وراءَ الْغُيومِ
وَيَتْرُكُ أَحْداقَنا تُبْهَتُ
أَلَمْ تَلْمَحي رَجْفَةً في الْمُروجِ
وَقُبَّرَةً في الثَّرى تَنْكُتُ
هُوَ الْأُفْقُ يوشِكُ أَنْ يَكْفَهِرَّ
فَأَيَّ الظُّنونِ تُرى أُسْكِتُ
فَماضٍ تَلَقَّفَنا في الطَّريقِ
وَغَصَّ بِنا فَيْؤُهُ الْمَيِّتُ
وَأُغْنِيَةٌ رَوَّعَتْها الشُّكوكُ
فَظَلَّتْ عَلَى شَفَتي تُنْصِتُ
أَغُضُّ لِغُصَّتِها ناظِرَيَّ
وَأَتْرُكُها في دَمي تَخْفُتُ !

## ٩

قِفي ! لا يَرُعْكِ انْطِفاءُ الشُّموعِ
وَحَشْرَجَةُ الصَّمْتِ في مَعْبَدي
ذَهَبْتِ وَكُنْتُ أَجُرُّ الرَّبيعَ
وَراءَ شَبابٍ نَقِيٍّ نَدي
وَخَلَّفْتِني لِلرِّياحِ الْغِضابِ
يُدَوِّمُ إعْصارُها في غَدي
وَلِلَّيْلِ يُدْرِكُني في الدُّروبِ
وَيَطْوي بِظُلْمَتِهِ فَرْقَدي

وَللشَّوْقِ يَجْأَرُ في مَحْجِرَيَّ
وَيَتْرُكُ أَشْلاءَهُ في يَدي
وَخَلَّفْتِني لِلْفَراغِ ٱلْعَتِيِّ
تَغولُ وَساوِسُهُ مَشْهَدي
أُحَدِّقُ في ٱللَّيْلِ حَتّىٰ يَضيقَ
وَأُغْضي عَلىٰ حُلُمٍ أَنْكَدِ
يَلوبُ ٱلسَّرابُ عَلىٰ ناظِرَيَّ
وَيَلْهَثُ فَوْقَ فَمٍ مُجْهَدِ
وَماذا تَرَكْتِ سِوىٰ ٱلذِّكْرَياتِ
تُلِحُّ عَلىٰ بابِيَ ٱلْموصَدِ
أُصيخُ فَتَبْكي ٱلْوُرودُ ٱلْعِطاشُ
وَتَنْتَحِرُ ٱلرّيحُ في مَوْقِدي!

## ١٠

أأُخْتاهُ! كَيْفَ نُطيقُ ٱلْفِراقَ
وَنَتْرُكُ أَحْلامَنا تَهْرَمُ
كِلانا يَعيشُ عَلىٰ ٱلذِّكْرَياتِ
وَيَزْعُمُ لِلنّاسِ ما يَزْعُمُ
أَكادُ أَمُدُّ يَدي لِلْغُيوبِ
فَأَعْلَمُ ما لَمْ أَكُنْ أَعْلَمُ
وَماذا أَخافُ؟ وَلي في ٱلنُّجومِ
دُروبٌ مُظَلَّلَةٌ تُرْسَمُ!

أَيَكْذِبُ مَوْعِدُنا .. أَمْ تُراهُ
عَلىٰ فَمِنا لَمْ يَزَلْ يَنْعَمُ
لَنا ٱلْأَرْضُ لا للشِّتاءِ الطَّويلِ
يُعانِقُها لَيْلُهُ ٱلْمُعْتِمُ
وَماذا أَرىٰ ؟ إِنَّ هٰذا ٱلْوُجومَ
يَكادُ وَراءَ فَمي يَنْقِمُ
أَنَحْمِلُ مِصْباحَنا ! أَمْ نَهيمُ
بِظَلْماءَ لَيْسَ بِها أَنْجُمُ
أُحَدِّقُ في طَرْفِكِ ٱلْمُطْمَئِنِّ
فَيُقْلِقُني سِرُّهُ ٱلْمُبْهَمُ
أَكادُ أَرىٰ دَعْوَةً في ٱلْعُيونِ
وَأُمْنِيَةً لَمْ تَزَلْ تَحْلُمُ !

## ١١

لِيَ ٱللَّيْلُ وَٱلْبَحْرُ وَٱلذِّكْرَياتُ
وهٰذا ٱلْفَضاءُ ٱلسَّحيقُ ٱلسَّحيقْ
أَنا ٱبْنُ ٱلْمَدى ٱلرَّحْبِ أَطْوي ٱلدُّروبَ
وَأَغْشى ٱلذُّرىٰ وَأَلُمُّ ٱلْبَريقْ
أُطَمْئِنُ أَشْرِعَتي لِلرِّياحِ
وَأَرْنو لِأُفْقٍ طَليقٍ .. طَليقْ
وَأُغْلِقُ عَيْنَيَّ حَتّىٰ أُحِسَّ
بِمَوْلِدِ نَجْمٍ رَفيقٍ صَديقْ

وَأَحْمِلُ فَوْقَ يَدي زَهْرَتَيْنِ
تَرَكْناهُما لِلشِّتاءِ ٱلْمُحيقْ
وَأَحْمِلُ قَوْلَكِ لي.. وَٱلْوُعودَ
وَأَحْمِلُ ما لَمْ تَقُلْ في ٱلطَّريقْ
وَأَحْمِلُ هُدْبَكِ حينَ ٱطْمَأَنَّ
وَباحَ بِسِرٍّ عَميقٍ .. عَميقْ
وَأَحْمِلُ أُمْنِيَةً في ٱلْفُؤادِ
تُريقُ عَلىٰ غَدِنا ما تُريقْ
تُمَرِّغُ أَهْدابَها في يَدَيَّ
وَتَمْسَحُ جَفْنَيَّ حَتّىٰ أُفيقْ
وَأَنْتِ مَعي.. مَرْفَأٌ في ٱلْخَيالِ
يُراوِدُ كُلَّ شِراعٍ غَريقْ !

## ١٢

أَأَنْتِ هُنا ؟ أَمْ هِيَ ٱلذِّكْرَياتُ
تُطالِعُ أَجْفانِيَ ٱلْمُسْهَدَهْ
أَنا واقِفٌ في ٱلسُّكونِ ٱلْعَميقِ
أَرودُ غَياهِبَهُ ٱلْمُرْصَدَهْ
كَأَنَّ فَمي طائِرٌ مُجْهَدٌ..
يَلوبُ عَلى شَفَةٍ مُجْهَدَهْ
أَأَنْتِ هُنا ؟ إِنَّ في مَحْجِرَيَّ
رُؤى حُلُمٍ خِفْتُ أَنْ أَفْقِدَهْ

ظِـلالٌ تمُـرُّ عـلىٰ نـاظِرَيَّ
وَتَـذْهَـبُ مُصْعِدَةً .. مُصْعِدَهْ
كَـأَنَّ صَبـابـاتِـنـا في ٱلدُّروبِ
تُـدَوِّمُ عاصِفَـــةً مُـرْعِـدَهْ
أَصيـخُ فَتُذْكِرُني في ٱلطَّريقِ
وَتَسْأَلُ طَرْفِيَ مَنْ سَهَّـدَهْ
وَتَأْوي إِلَيَّ رُؤايَ ٱلعِتـاقُ
فَأَطْـرُقُ أَبْوابَهـــا ٱلمُوصَدَهْ
أُلِـحُّ عَلىٰ ٱلْحُلْمِ حَتّىٰ يَبينَ
فَأَشْهَدُ في نـاظِري مَوْلِـدَهْ
يَجُرُّ زَنـابِقَـهُ في ٱلْعُيونِ
وَيَتْرُكُ فَوْقَ فَمي مَوْعِـدَهْ !

## ١٣

مِنَ ٱلْحُلْمِ يُومِضُ في ناظِرَيَّ
وَمِنْ كِبْرِياءِ فَمٍ مُطْبِقِ
وَمِنْ عُنْفُوانِ ٱلْهَوىٰ في ٱلْعُيونِ
تَغُضُّ عَلَى حُلُمٍ شَيِّقِ
وَمِنْ غُصَّةِ ٱلرّوحِ بِٱلذِّكْرياتِ
وَغَزْلِ غَدٍ مُورِقٍ .. مُورِقِ
وَمِنْ مَوْعِدٍ للطيورِ ٱلعِطاشِ
عَلىٰ أَيْكَةٍ بَعْدُ لَمْ تُخْلَقِ

وَمِنْ رَوْعَةِ ٱللَّيْلِ فَوْقَ ٱلْجِبالِ
وَهَفَّةِ ثَلْجٍ نَقِيٍّ نَقي
وَمِنْ غَفْوَةِ ٱلْقَمَرِ ٱلْمُطْمَئِنّ
عَلىٰ أُفُقٍ أَزْرَقٍ أَزْرَقِ
وَمِنْ دِمْعَةٍ رَنَّحَتْها ٱلطُّيوبُ
تَصوبُ عَلىٰ بَلْقَعٍ مُمْلِقِ
وَمِنْ غُبْشَةِ ٱلْبَحْرِ عِنْدَ ٱلْمَساء
تَرِنُّ عَلىٰ شاطِىءٍ مُرْهَقِ
وَمِنْ وَحْشَةِ ٱلْجُزُرِ ٱلنّائِياتِ
تُلَوِّحُ لِلْعابِرِ ٱلْمُطْرِقِ
طَلَعْتِ ! فَغَصَّ ٱلْمَدىٰ بِٱلنُّجومِ
وَمُدَّ ٱلطَّريقُ .. فَهَلْ نَلْتَقي ؟

## ١٤

بَلىٰ إِنَّـهُ ٱللَّيْـلُ ! لَيْـلُ ٱللقاء
وَهٰـذا هُوَ ٱلْغَيْبُ يَرْنو مَعي
أَراجيحُنـا فيهِ زَنْـدُ ٱلنُّجومِ
وَتُـكْـأَتُنـا غَيْمَـةٌ لا تَعي
لَنا ظُلَّـةٌ في ضُلوعِ ٱلطَّريقِ
وَأُخْرىٰ تُمَهِّـدُهـا أَضْلُعي
وَنَهْـرٌ يَنامُ عَلَى ٱلضِّفَّتَيْنِ
وَيَحْـلُمُ بِٱلطَّـيْرِ وَٱلْمَنْبَـعِ

وَصَفصافَةٌ أَوْشَكَتْ أَنْ تبوحَ

بِسِرٍّ عَنادِلِها ٱلْهُجَّعِ ..

تُرىٰ ما لِعَيْنَيْكِ مَذْعورَتَيْنِ

وَلِلْهُدْبِ يُنْكِرُ ما أَدَّعي

كَأَنّي أَرىٰ ظُلْمَةً في ٱلْعُيونِ

تَتوقُ إِلىٰ قَمَرٍ مُزْمِعِ

أَقُلْتِ : غَداً ؟ إِنَّ في مَحْجِرَيَّ

رُفاتَ غَدٍ مُوجَعٍ .. مُوجَعِ

تَنوءُ شِفاهُكِ بِالأُمْنِياتِ

فَتُطْفِىءُ غُلَّتَها أَدْمُعي

وَتَسّاقَطُ الشُّهْبُ في ناظِرَيْكِ

فَأَعْلَمُ أَنَّكِ لَنْ تَرْجِعي !

## ١٥

هُنا في شِفاهِكِ لَوْ تَعْلمينَ
وَفَوْقَ فَمٍ مُشْفِقٍ بارِدِ
هُنا في شِفاهِكِ غَصَّ ٱلزَّمانُ
فَظَلَّ يَدورُ عَلىٰ شاهِدِ
تَطَلَّعَ فِيَّ .. فَغُمَّ ٱلطَّريقُ
وَلَمْ يَبْقَ غَيْرُ صَدىً شارِدِ !
تُرىٰ أَيْنَ أَذْهَبُ ؟ إِنَّ ٱلْفَراغَ
يَمُدُّ إِلَيَّ يَدَيْ مارِدِ

وَيُومي إِلَيَّ فَتَبْكي ٱلرِّياحُ
وَأَعْثُرُ بِٱلْأَبَدِ الرَّاصِدِ
وَيُحْتَضَرُ ٱلدَّهْرُ في ناظِرَيْنِ
يَلوبانِ فَوْقَ غَدٍ هامِدِ ..
هُنا في شِفاهِكِ غَصَّ ٱلزَّمانُ
فَقَرَّ عَلى شَفَقٍ كامِدِ
وَشَيْءٌ بِعَيْنَيْكِ قالَ ٱلْوَداعَ
فَلَمْ أَرَ غَيْرَ فَمٍ جاحِدِ
أَمُدُّ يَدي لِلرُّؤى ٱلْهارِباتِ
فَتُوهِنُ نَظْرَتُها ساعِدي
وَتَزْلَقُ عَيْناي مُرْتاعَتَيْنِ
عَلى حَجَرٍ جامِدٍ .. جامِدِ !

## ١٦

إِلىٰ أَيْنَ مُنْطَلَقي ؟ وَٱلْغُيوبُ

تَروعُ مَجاهِلُهـا نَظْرَتي

وَلَمْ يَبْقَ في بَيْتِنـا لِلطُّيورِ

سِوىٰ دَمْعَةٍ مُرَّةٍ .. مُرَّةِ

رَجَعْنا ! فَلَمْ أَرَ غَيْرَ ٱلظِّلالِ

تُواكِبُ حَيْرَتُهـا حَيْرَتي

وَسِرْنا مَعـاً في دُروبِ ٱلْحَياةِ

وَراءَ غَـدٍ مُخْفِقٍ مَيِّتِ

وَأَوْهَنَنا أَنْ يَطولَ ٱلصِّراعُ
وَنعْثُرَ بِٱلشَّكِّ وَٱلْخَيْبَةِ
وَدَبَّ ٱلْعَياءُ بِنا في ٱلطَّريقِ
وَحَطَّ بِنا ٱللَّيْلُ في قَفْرَةِ
وَأَوْشَكَ عالَمُنا أَنْ يَغَصَّ
بِرَجْعِ حِكاياتِنا ٱلْحُلْوَةِ
وَبَحَّ ٱلنِّداءُ ٱلْعَريضُ ٱلْعَريضُ
فَلَمْ أَعِ مِنْهُ سِوىٰ نَبْأَةِ
وَأَشْفَقْتُ أَنْ تَدْلَهِمَّ ٱلدُّروبُ
فَأَوْقَدْتُ في لَيْلِها شَمْعَتي
وَعُدْتُ أَلُمُّ ٱلْوُعودَ الظِّماءَ
وَآوي بِهِنَّ إِلىٰ وَحْدَتي !

## ١٧

أَيَبْلىٰ ٱلْهَوىٰ بَعْدَ ذاكَ ٱلرَّبيعِ
وَنَتْرُكُ في ٱلدَّرْبِ ما نُؤْثِرُ
هُوَ ٱلْأَمْسُ يُغْرِقُنا بِٱلْعُهودِ
فَكَيْفَ بِأَيّامِهِ نَكْفُرُ .. ؟
يَروحُ وَتَبْقىٰ لَنا ٱلْكِبْرِياءُ
إذا باحَ لِلْمَخْبِرِ ٱلْمَخْبِرُ
وَتَبْقىٰ لَنا ظُلَّةٌ في ٱلْمُروجِ
وَصَفْصافَةٌ لَمْ تَزَلْ تَذْكُرُ

وَيَبْقى لَنا كَوْكَبٌ في ٱلْفَضاء
يَكادُ بِأَشْواقِنا يَعْثُرُ
وَتَبْقى بيادِرُنا .. وَٱلْحصادُ
وَسُنْبُلَةٌ بِٱلنَّدى تَقْطُرُ
وَدالِيَةٌ في ٱلْفِناء ٱلْوَريقِ
بِذِكْرِ أَحادِيثِنا تَسْكَرُ
وَيَبْقى تَلَفُّتُنا لِلْأَصيلِ ..
وَمَوْعِدُنا ٱلْأَبْيَضُ ٱلْخَيِّرُ
وَتَبْقى لَنا ذِكْرَياتُ ٱلصِّبا
نُرَدِّدُها عِنْدَما نَكْبُرُ
سَتَتْرُكُ أَحْفادَنا يَضْحَكونَ
وَتَتْرُكُنا نَحْنُ نَسْتَعْبِرُ !

## ١٨

أَأَهْرُبُ مِنْكِ ؟ وَأَيْنَ ٱلْمَفَرُّ
وَعالَمُنا ضَيِّقٌ مُوصَدُ
وَأَبْوابُنا زَعْزَعَتْها ٱلرِّياحُ
وَهَمٌّ بِها عاصِفٌ مُرْعِدُ
وَكَيْفَ ؟ أَأَهْرُبُ وَٱلذِّكْرَياتُ
يُطالِعُنا وَجْهُها ٱلْمُجْهَدُ
فَفي كُلِّ دَرْبٍ لَنا وَقْفَةٌ
وَفي كُلِّ حِرْجٍ لَنا مَقْعَدُ ..

لَكِ ٱللَّيْلُ يَنْسُلُ مِنْكِ ٱلضِّياءُ
وَلي فَوْقَ أَنْجُمِهِ مَرْقَدُ

وَدَرْبُكِ دَرْبي إِذا ما ٱقْتَرَبْتِ
أَحَسَّ ٱلثَّرىٰ وَٱنْتَشىٰ ٱلْجَلْمَدُ

نَمُرُّ فَيَسْأَلُ عَنَّا ٱلْعَبيرُ
وَيَتْبَعُنا ٱللَّيْلُ وَٱلْفَرْقَدُ

فَنَجْمٌ عَلَى غَدِنا يَشْرَئِبُّ
وَنَجْمٌ عَلَى يَدِنا يَرْقُدُ

وَبَيْتُكِ بَيْتي.. أَضَعْتُ ٱلطَّريقَ
فَلَمْ أَدْرِ أَيَّهُما أَقْصُدُ

أَأَهْرُبُ مِنْكِ ؟ وَأَيْنَ ٱلْمَفَرُّ
وَزُرْقَةُ عَيْنَيْكِ لي مَوْعِدُ !

١٩٥٥

# كنّا غرباء

لَمْ تَكُنْ قَبْلَكِ ٱلذِّكَرْ
فَاعْذُرِي ٱلْقَلْبَ إِنْ عَثَرْ

لِيَ عَيْنَاكِ وَٱلْهَوىٰ وَٱلْخَرِيفُ ٱلَّذي بَكَرْ
بِدَمِي أَنْتِ ! لا أَرىٰ لَكِ فِي ٱلْأَرْضِ مِنْ مَفَرّْ
إِنْ يَبُحْ قَبْلَنَا فَمٌ فَبِنَا تَبْدَأُ ٱلسِّيَرْ !
إِنْظُرِي إِنَّهَا يَدٌ تَغْزِلُ ٱلضَّوْءَ وَٱلشَّرَرْ
ٱلْمَصَابِيحُ فِي ٱلطَّرِيقِ تَنَقَّبْنَ بِٱلشَّجَرْ
وَٱلنَّوَاتِيُّ يَسْأَلُونَ مَتىٰ تَطْلُعُ ٱلدُّرَرْ

وَبقايا مِنَ ٱلسَّنا    لَمْ تزَلْ تبْغَتُ ٱلْبصَرْ
يا لَهــا مِنْ مَدينَــةٍ    سَهِرَتْ تَجْرَعُ ٱلضَّجَرْ !
سَكِرَ ٱللَّيْلُ فَٱنْظُري    أَعَلىٰ ٱلْماءِ قَدْ طَفَرْ
فَشِــراعٌ مُـرَنَّـحٌ    وَشِراعٌ قَـدِ ٱنْحَـدَرْ
وَعَجوزٌ عَلىٰ ٱلطَّريــــقِ أَشارَتْ إِلىٰ ٱلنَّهَرْ
زَعَمَتْ أَنَّ مَوْجَـةً    ذَهَبَتْ تَغْسِلُ ٱلْقَمَرْ ..
وَتَقولينَ : مَنْ يَظُـــنُّ ؟ فَأُغْضي عَلىٰ سَقَرْ
أَوَلَمْ أُعْطِكِ ٱلنُّجو    مَ وَأَحْبِكْ لَكِ ٱلْبَكَرْ
أَوَ أَشْكو وَفي يَدي    صَفَرَ ٱلْأَيْكُ ما صَفَرْ !
قُلْتِ : طِرْ بي عَنِ ٱلْوُجو    دِ وَقُدْني إِذا ٱعْتَكَرْ
أَنا لَوْلاكَ مَنْ أَكو    نُ .. فَدَعْني مِنَ ٱلْحَذَرْ
وَٱجْرَحِ ٱلصَّخْرَ بِٱلْعُهو    دِ وَسِرْ بي عَلَى ٱلزَّهَرْ

يا ٱلقَلْبَيْنِ عاشِقَيْـــنِ أفاقا عَلىٰ حَجَرْ ..

أَقبِلي تَشْهَدِ ٱلضِّفا　　فُ صِباي ٱلَّذي غَبَرْ

وَٱتَّكي فَوْقَ ساعِدَ　　يَّ .. وَخَلّي لِيَ ٱلْفِكَرْ

ٱلْمُغَنُّونَ يَهْتِفو　　نَ .. فَنُصْغي لِمَنْ جأَرْ

قِصَّةٌ عَنْ مُغامِرٍ　　زَحَمَتْ فُلْكُهُ ٱلْعُصُرْ

كانَ في ٱلْحانِ لَيْلَةً　　يَنْهَبُ الدَّيْرَ ما عَصَرْ

كُلَّما عَبَّ جَرْعَةً　　ذَكَرَ ٱلْبَحْرَ فَٱنْفَجَرْ

أَبْصَرَتْهُ أَميرَةٌ　　سَئِمَتْ وَحْشَةَ ٱلْحُجَرْ

فَخَلَتْ في دُروبِهِ　　وَدَعَتْهُ إلىٰ ٱلسَّمَرْ

وَأَضاءَتْ لَهُ ٱلطَّريـــقَ إلىٰ خِدْرِها ٱلعَطِرْ

وَٱرْتَمَتْ في ذِراعِهِ　　تَتَعايا مِنَ ٱلسَّكَرْ ..

قالَ : مِنْ أَيْنَ ؟ فَٱنْثَنَتْ　　وَأَشارَتْ إلىٰ ٱلسَّحَرْ

ثُمَّ قالَتْ : جَزيرَةٌ          لَمْ يَطَأْ أَرْضَها بَشَرْ !
هَمَّ يَطْوي ذِراعَها          فَانْبَرَتْ تُسْدِلُ السُّتُرْ
ثُمَّ غابَتْ وَراءَها          وَتَوارَتْ عَنِ الْبَصَرْ ..
قُلْتُ وَاللَّيْلُ ساكِنٌ          أَيُّ حُلْمٍ بِنا عَبَرْ
خافَ جَفْناكِ ما أَسَرَّ وَضاقا بِما جَهَرْ
وَخَبَتْ وَمْضَةُ النُّجو          مِ عَلى خَدِّكِ النَّضِرْ
أَتَخافينَ ؟ إِنَّها          قِصَّةٌ عَنْ فَتىً عَثَرْ
سَلِمَتْ هٰذِهِ الْعُيو          نُ ! فَنامي عَنِ الْكَدَرْ
لَيْلُنا فاضَ بِالْهَوىٰ          فَلِمَنْ نَتْرُكُ الْبَكَرْ ..
أَنا لَنْ أَذْكُرَ النَّوىٰ          قَبْلَ أَنْ يَنْفَدَ الْقَدَرْ !
فَمُكِ الْحُلْوُ ضارِعٌ          أَهُوَ الْقَلْبُ قَدْ كَفَرْ
أَتَقولينَ في غَدٍ ..          قُتِلَ الْبَيْنُ مِنْ خَبَرْ

أَوَداعٌ وَلَمْ يَكَدْ يُدْرِكُ ٱلْقَلْبُ مَنْ هَجَرْ!

أَيُّ حُلْمٍ رَأَيْتُهُ فَوْقَ عَيْنَيْكِ يُحْتَضَرْ..

أَنا في زَحْمَةِ ٱلرَّصيـــفِ أَرى زَحْمَةَ ٱلذِّكَرْ

أُلْجُنودُ ٱلْمُعَرْبِدو نَ يَهُمُّونَ بِٱلسَّفَرْ

وَٱلْقِطارُ ٱلَّذي يُلِحُّ فَيَجْري عَلى شَرَرْ

تَنْشَقُ ٱلروحُ مايَمُجُّ وَتَبْكي إِذا زَفَرْ..

وَٱلْمُنادونَ جَهْرَةً وَٱلْعُبابُ ٱلَّذي نَفَرْ

وَنَشيجُ ٱلْمُوَدِّعا تِ يُكَفْكِفْنَ ما ٱنْحَدَرْ

وَهُنا في دَمي يَدٌ تَنْسُلُ ٱلْحُلْمَ وَٱلْفِكَرْ

وَسِراجانِ شاحِبا نِ أَضاءا لِيَ ٱلْعُمُرْ..

أَنا في ٱلدَّرْبِ مُطْرِقٌ أَسْأَلُ ٱلنَّهْرَ هَلْ شَعَرْ

شَجَرُ ٱلدُّلْبِ.. وَٱلنَّدى وَٱلأَريجُ ٱلَّذي ٱنْتَشَرْ

وَٱلْمصابيحُ في ٱلدُّرو　　بِ يُراقِبْنَ مَنْ عَبَرْ
وَعَجوزٌ عَلىٰ ٱلطَّريـــقِ أَفاءَتْ إِلىٰ ٱلنَّهَرْ
يالَها مِنْ شَقِيَّةٍ　　أَلِفَتْ عَيْنُها ٱلسَّهَرْ
وَقَفَتْ ثُمَّ أَطْرَقَتْ　　تَخْدِجُ ٱلْأَرْضَ في حَذَرْ
وَٱنْحَنَتْ تَمْسَحُ ٱلتُّرا　　بَ.. وَتَرْنو إِلىٰ ٱلْقَمَرْ
وَأَشارَتْ .. فَلَمْ أَجِدْ　　غَيْرَ قَلْبي عَلىٰ ٱلْحَجَرْ!

١٩٥٦

# نهاية درب

غُمَّ لَيْلي فَمَنْ يُعانِقُ حُلْمي
في دُروبِ ٱلصِّبا وَيَحْضُنُ نَجْمي
ٱلْوَداعَ ٱلْوَداعَ !فَالأُفْقُ قَدْ ضا
قَ.. وَهٰذا الدُّجى يُراوِدُ عَزْمي
لَمْ يَعُدْ في طَريقِنا غَيْرُ أَشْلا
ءِ أَمانٍ.. حَمَلْتُهُنَّ بِرَغْمي
يُوشِكُ ٱللَّيْلُ أَنْ يُمَزِّقَ ذِكْرا
كِ.. فَرَسْمٌ يَنْهارُ في إِثْرِ رَسْمِ

وَأَنــا واقِفٌ أَضُمُّ ذِراعَيَّ
وَأَحْنو عَلى بَقِيَّــةِ وَهْمِ ..
غُمَّ لَيْلي ! فَمَنْ يُضيءُ لَكِ الدَّرْ
بَ .. وَيَدْعو لَكِ الْغَمامَ فَيَهْمي
قُلْتُ : هَيّا ! وَخِفْتِ أَنْ نَقْحَمَ النَّوْءَ
وَنُلْقي شِراعَنــا في خِضَمِّ
أَنا قاسٍ وَأَنْتِ واهِنَــةُ الرُّو
حِ .. فَخَلّي الرِّياحَ تُزْهِقُ حُلْمي
ضاقَ عُمْرٌ تَرَكْتِهِ يَشْرَبُ الْوَهْمَ
وَجُرْحٌ نَكَأْتِهِ دونَ عِلْمِ
وَاتْرُكي عالَمي ! فَلَيْسَ لِعَيْنَيْكِ
مَكانٌ في أُفْقِيَ الْمُدْلَهِمِّ ..

أَوْقِدي ٱلنّارَ يا غِناءَ لَيالِيَّ

فَلَيْلي مُرَوَّعُ ٱلنَّجْمِ قاتِمْ

وٱلْمواعِيدُ تَشْرَئِبُّ مِنَ ٱلْأَمْسِ

وَتَطْوي لَكِ ٱلدُّنىٰ وَٱلْمعَالِمْ

أَتخافينَ ؟ وَٱلْمُنىٰ مُلْكُ كَفَّيْكِ

وَقَلْبي سَحائِبٌ . . وَمَواسِمْ

عَبَثاً تَكْتُمينَني ! فَأَنا مِثْلُكِ

أَحْيا عَلَى ٱلظُّنونِ ٱلْبَواسِمْ . .

لَيْتَني لَمْ أرِقْ لِمَقْدَمِكِ ٱلطّيبَ

وَأفْرِشْ لَكِ ٱلطَّريقَ غمائِمْ

شَهَقَ ٱللَّيْلُ في مَحاجِرِكِ ٱلزُّرْقِ

وَعاثَتْ بِٱلذِّكْرَياتِ أراقِمْ

وَتَعَثَّرْتِ .. فَٱلطَّريقُ خَريفٌ

هَجَرَتْهُ طُيوبُهُ .. وَٱلْحَمائِمْ

لا تَلومي إذا كَفَرْتُ بِدُنْياكِ ..

فَماذا تَرَكْتِ لي لِأُقاوِمْ ؟

لَمْ نَكُنْ نَلْتَقي .. فَلَمّا تَلاقَيْنا

وَأدْرَكْتُ أنَّني كُنْتُ واهِمْ

خِلْتُ دُنْيايَ هُوَّةً تَتَداعى

وَأمانِيَّ .. كُلُّهُنَّ مَآتِمْ ..

لِمَ آثَرْتِ أَنْ نَعيشَ غَريبَيْنِ
وَأَنْكَرْتِ كُلَّ ما كانَ مِنْكِ
ضاقَ صَدْري بِما يُدَفِّقُ جَفْنا
كِ .. وَأَشْفَقْتُ أَنْ أُصيخَ لِشَكّي
أَنْتِ لَوْلايَ مَنْ تَكونينَ في ٱلْأَرْضِ
وَلَوْلايَ مَنْ يَقُصُّ وَيَحْكي . ؟
مُلْكُ عَيْني هٰذا ٱلْبَريقُ بِعَيْنَيْكِ
وَمُلْكي ما كُنْتُ أَسْرُدُ عَنْكِ

مُلْكُ كِبْرِي هٰذا ٱلْجبينُ.. وَمُلْكي
كُلُّ هُدْبٍ.. وَلَوْنُ عَيْنَيْكِ مُلْكي!
أنا طَوَّقْتُ ساعِدَيْكِ بِنَوّاري
فَلَمْ أُبْقِ زَهْرَةً في أَيْكي
وَسأَلْتُ ٱلنَّدىٰ فدَغْدَغَ خَدَّيْكِ
وَضَمَّخْتُ راحَتَيْكِ بِمِسْكِ..
إِنْ تَكوني سَلْوَتِني.. فَلِمَنْ يَشْهَقُ
حُلْمٌ تَرَكْتِهِ عِنْدَ تَرْكي..؟
أنا ما زِلْتُ أَدَّعيكِ.. فَلا يَغْرُرْكِ
بَطْشي بِٱلذِّكْرَياتِ وَفَتْكي
كَمْ سَفينٍ تَرَكْتُها تَقْحَمُ ٱلْيَمَّ..
فَعادَتْ قُلوعُها.. وَهْيَ تَبْكي!

ٱلْوَداعَ ٱلْوَداعَ يا حُلْمَ دُنْيا
يَ .. فَقُدّامَنا طَريقٌ طَوِيلَهْ
لِنَسِرْها كَما أَرَدْتِ .. غَريبَيْنِ
وَنَقْنَعْ بِذِكْرَياتٍ .. قَليلَهْ
آنَ أَنْ نَسْتَريحَ مِنْ قَلَقِ ٱلْحُبِّ
وَأَوْهامِهِ ٱلْعِجافِ ٱلْهَزيلَهْ ..
لا تَقولي: جَبُنْتَ! قَدْ بَحَّ صَوْتي
وَأَنا أَرْقُبُ ٱلسَّماءَ ٱلْبَخيلَهْ

لَمْ تَكوني كما أُحِبُّ .. فَفي

عَيْنَيْكِ .. روحٌ غَريبَةٌ .. مَغْلولَهْ

مَزَّقَ الْقَلْبَ حُلْمَهُ وَهْيَ تَنْهارُ .. وَرَوَّى مِنَ السَّرابِ غَليلَهْ

أَنْتِ شَيْءٌ أُحِبُّهُ وَأُجافيهِ

وَأَخْشى بَقاءَهُ .. وَرَحيلَهْ

أَتَوَقّاكِ في الطَّريقِ .. وَعَيْني

نَظَراتٌ طَويلَةٌ مَوْصولَهْ ..

فَاذْهَبي إِنْ أَرَدْتِ ! فَالرَّكْبُ قَدْ

سارَ .. وَأَرْضي بَعيدَةٌ مَجْهولَهْ

وَاتْرُكي عالَمي .. فَقَدْ أَفَلَ النَّجْمُ

وَضاقَتْ بِنا الطَّريقُ الطَّويلَهْ ..

١٩٥٤

# الطريق إلى الله

عَبَثاً أَسْأَلُ مِنْ أَيْنَ ! فَإِنَّ ٱللَّيْلَ حائِلْ
إِنَّ هٰذا ٱلْأُفْقَ يَدْعوني فَماذا أَنا فاعِلْ
الرُّؤَىٰ تَجْأَرُ في ٱلرُّوحِ وَتَبْكي في ٱلْمَجاهِلْ
وَأَنا في عَشْوَةِ ٱللَّيْلِ خَيالٌ مِنْهُ ماثِلْ
وَخُطىً تَضْرِبُ في ٱلْأَرْضِ وَتَعْنو في ٱلسَّلاسِلْ !
قُلْتُ : هٰذا ٱلدَّرْبُ قَدْ سُدَّ ! فَلو بي يا قَوافِلْ
أَيُّ عَيْنٍ مَلَّتِ ٱلْقَفْرَ وَضاقَتْ بِٱلْخَمائِلْ
أَيْقَظَتْها دَفْقَةُ ٱلنّورِ فَنادَتْ كُلَّ غافِلْ
وَرَنَتْ فَٱزْدَهَتِ ٱلبيدُ وَماجَتْ بِٱلسَّنابِلْ
وَتَوارَىٰ ٱللَّيْلُ ! فَٱنْهالَتْ عَلىٰ ٱلصَّخْرِ ٱلْمَعاوِلْ !

لَمْ أَكُنْ وَحْدي ! فَفي ٱلْأَرْضِ عَرَفْتُ ٱلْكِبْرِياءا

وَرَأَيْتُ ٱلْأُفْقَ يَـدْ غُمُّ .. فَنادَيْتُ ٱلسَّماءا

يا لَها مِنْ رِحْلَةٍ تَفْتَحُ لِلرُّوحِ فَضـاءا

كُلَّما حَـدَّقَ في ٱللَّيْـلِ رَأَىٰ دَرْباً مُضاءا

أَيُّ داعٍ صاحَ بِٱلْكَوْنِ .. فَسالَ ٱلْقَفْرُ ماءا

ٱلْقُلوعُ ٱلْبيضُ في ٱلْيَمِّ ! وَأَرْضٌ تَتَراءىٰ

وَأَكُفٌّ تَحْمِلُ ٱلنّارَ .. وَتَهْدي ٱلْغُرَباءا

قِمَّـةٌ تَرْنو إِلىٰ ٱلشَّمْسِ ! فَما أَحْلىٰ ٱللِّقاءا

وَقَفَتْ في بُهْرَةِ ٱلتّاريخِ تُرْويهِ عَطاءا

وَأَشارَتْ .. فَأَطَلَّ ٱلنَّجْمُ مِنْـهُ .. فَأَضاءا

لَمْ أَكُنْ وَحْدي ! فَفي ٱلدَّأْماءِ رُبّانٌ مُغامِرْ
سَرَحَتْ يُمْناهُ فَٱنْهَلَّتْ عَلىٰ ٱلْماءِ ٱلأَزاهِرْ
قالَ : ماذا يَخْبَءُ ٱلْأُفْقُ ؟ فَإِنَّ ٱلنَّجْمَ غائِرْ
أَتُرىٰ لِيَ في ٱلْغَدِ ٱلْمَجْهولِ أَيّامٌ زَواهِرْ
أَنا ماضٍ أَقْهَرُ ٱلْبَحْرَ .. وَأَلْهو بِٱلْأَعاصِرْ
في يَدي مِفْتاحُ أَبْهاءٍ مِنَ ٱلدُّرِّ بَواهِرْ ..
وَرَنا يَسْتَطْلِعُ ٱلْأُفْقَ .. فَعادَتْهُ ٱلْخَواطِرْ
وَٱنْجَلىٰ ٱلْحُلْمُ لِعَيْنَيْهِ وَهَزَّ ٱلْقِلْعَ طائِرْ
وَتَراءىٰ ٱلنَّجْمُ .. وَٱخْضَلَّتْ عَلىٰ ٱلْيَمِّ ٱلْبَشائِرْ
فَإِذا ٱلْبَحْرُ أَهازيجٌ .. وَنَخْلٌ .. وَمَنائِرْ !

لَمْ أَكُنْ وَحْدي ! فَفي ٱلْبَيْداءِ أَرْواحٌ غَريبَهْ
أَيْقَظَتْها دَفْقَةُ ٱلنّورِ عَلىٰ ٱلْأَرْضِ ٱلْكَئيبَهْ
أَيُّ نايٍ في ٱلشُّهوبِ ٱلسُّمْرِ قَدْ مَدَّ نَحيبَهْ
ٱلْفَضاءُ ٱلْمُتْعَبُ ٱلْمَوْهونُ لَمْ يُخْفِ شُحوبَهْ
وَٱلْمَصابيحُ عَلَى ٱلدَّرْبِ أَساطيرُ رَهيبَهْ ..
أَيُّها ٱلتّائِهُ في ٱللَّيْلِ ! أَلَمْ تُدْرِكْ غُيوبَهْ
في دَمي شَوْقٌ إِلى ٱلْمَجْهولِ لَمْ أَسْلُ دَبيبَهْ
فَرَغَ ٱلْكَأْسُ وَهٰذا ٱلْقَلْبُ لَمْ يُطْفِئْ لَهيبَهْ
صاحَ : رَبّاهُ ! فَخِلْتُ ٱللَّيْلَ يَأْبىٰ أَنْ يُجيبَهْ
وَتَراءَتْ مِنْ وَراءِ ٱلْأُفْقِ أَشْباحٌ غَريبَهْ ..

لَمْ أَكُنْ وَحْدي ! فَهٰذا ٱلْحُلْمُ قَدْ قَبَّلَ هُدْبي

أَنا في ٱلْمَوْجِ وَراءَ ٱلْمَوْجِ ! في ٱلنَّجْمِ ٱلْمُحِبِّ

أَنا في قافِلَةٍ تَهْفو إِلىٰ رَشَّةِ سُحْبِ

في ٱلصَّدىٰ يَشْهَقُ في ٱللَّيْلِ وَيَطْوي أَلْفَ سَهْبِ

في نَدىٰ زَنْبَقَةٍ بَيْضاءَ .. في رَعْشَةِ عُشْبِ

في ٱنْتِظارِ ٱللَّمْحَةِ ٱلْبِكْرِ ٱلَّتي تَهْتِكُ حُجْبي

في ٱلْهَوىٰ يَجْرَحُ عَيْنَيَّ .. وَيَنْدىٰ مِنْهُ تُرْبي !

أَيُّها ٱللَّيْلُ عَلىٰ ٱلدَّرْبِ ! هُنا يَبْدَأُ دَرْبي

أَنا ماضٍ أَفْتَحُ ٱلْكَوْنَ فَمَنْ أَلْمَحُ قُرْبي

أَأَنا وَحْدي ؟ وَعَيْنُ ٱللهِ لا تَبْرَحُ قَلْبي

١٩٥٦

# الماء

مَا ٱلَّذي طَرَقْ          مَا ٱلَّذي خَفَقْ
أَيُّ مَغْرِبٍ          في دَمي شَهَقْ
غَامَ نَاظِري          عِنْدَ ما زَهَقْ
هَلْ رَأَيْتَهِ          يَرْقُبُ ٱلشَّفَقْ
أَلْفُ قَزْعَةٍ          تَرْقُشُ ٱلْأُفُقْ
أَدْرَكَ ٱلدُّجىٰ          وَشْيَهَا ٱلْخَلَقْ
كُلَّمَا ٱلْتَوىٰ          هُدْبُهَا ٱلْغَدَقْ
خِلْتُ قَلْبَهَا          يَقْطُرُ ٱلْحُرَقْ

ما ٱلَّذي دَعا ما ٱلذي طَرَقْ
أَيُّ طائِرٍ دَفَّ وَٱنْطَلَقْ
كادَ جِنْحُهُ يَجرَحُ ٱلْغَسَقْ
هَلْ رَأَيْتِهُ عِنْدَما مَرَقْ..
كانَ في يَدي شالُكِ ٱلْعَبِقْ
يَنْثُرُ ٱلشَّذىٰ كُلَّما خَفَقْ
قُلْتُ أَقْبِلي نَذْرَعُ ٱلطُّرُقْ
ما بَقاؤنا نَحْدِجُ ٱلْأُفُقْ!
يا لَصُورَةٍ تُوقِرُ ٱلْحَدَقْ
لَمْ أَزَلْ أَرىٰ طَرْفَكِ ٱلْقَلِقْ
هامَ بُرْهَةً ثُمَّ لَمْ يُطِقْ
قُلْتِ وَٱلْهَوىٰ ثائِرٌ نَزِقْ

أَيْنَ نَغْتَدي    حِينَ نَفْتَرِقْ
غَصَّ فَجْرُنا    وَٱلدُّجى شَرِقْ ..
لَيْتَ ساعِدي    يُمْسِكُ ٱلشَّفَقْ
عَلَّ يَوْمَنا    يَقْهَرُ ٱلْقَلَقْ
أَنْتَ إِنْ تَرُحْ    يَطْبِقِ ٱلْغَسَقْ!
قُلْتُ ما ٱلَّذي    يُوغِرُ ٱلْفَرَقْ
أَيُّ عالَمٍ    خِلْتِهِ ٱنْغَلَقْ
إِن نَضِقْ بِهِ    فَهْوَ لَمْ يَضِقْ
سَوْفَ نَلْتَقي    جارَ أَمْ رَفَقْ ..
بَيْتُنا ٱلَّذي    يَخْبَأُ ٱلْفَلَقْ
نَمَّ عُشْبُهُ    عَنْ نَدىً عَبِقْ
في ظِلالِهِ    تَحْلُمُ ٱلطُّرُقْ

أَقْبِلي نَخُضْ دَرْبَهُ ٱلوَرِق
وَٱذْهَبي مَعي نَدفِنُ ٱلْقَلَقْ
نَنْقُلُ ٱلْخُطى نَنْسُلُ ٱلأَلَقْ
نَتْبَعُ ٱلرُّؤى كَيْفَما ٱتَّفَقْ
وَٱتْرُكي يَدي تَضفِرُ ٱلْوَرَق
في خَمائِلٍ تُمْطِرُ ٱلْعَبَقْ..
وَيْكِ! ماٱلَّذي يُقْلِقُ ٱلْحَدَقْ
تَسْأَلينَني كَيْفَ لَمْ أَضِقْ
هَلْ عَهِدْتِني أَنْهُرُ ٱلأَرَقْ!
يا لَتائِهٍ مُتْعَبٍ.. قَلِقْ
طالَ دَرْبُهُ وَهْوَ لَمْ يُفِقْ..
حَدِّقي تَرَيْ سِرِّيَ ٱلْغَلِقْ

أَنْتِ في دَمي        عِنْـدَما خُلِقْ..
في عُيونِنـا        مَوْعِـدٌ أَرِقْ
أَجْتَلي بِـهِ        زُرْقَـةَ ٱلْأُفُقْ
هَلْ رَأَيْتِـهِ        عِنْدَما شَهَقْ
وَدَّ لَوْ رَأَىٰ        وَدَّ لَوْ نَطَقْ
مِنْ لُهاثِـهِ        نَـغْزِلُ ٱلشَّفَقْ!

١٩٥٥

# الليل في الدروب

## ١

أَمامَكَ ٱللَّيْلُ ! فَماذا تَرى
أَتَلْمَحُ ٱلنَّجْمَ إذا أَسْفَرا
أيُّ ٱلْأَساطيرِ هُنا تَلْتَقي
فَتَجْعَلُ ٱللَّيْلَ لَها مَحْشَرا

اَلدَّرْبُ قَدْ غُمَّ ! وَهٰذي يَـدٌ
تُومي إلىٰ اَلْبَابِ اَلَّذي سُمِّرا
يَدٌ مِنَ اَلْغَيْبِ تَرَاءَيْتُها
فَخِلْتُ فيها قَدَراً مُنْذِرا !
يا سادِنَ اَللَّيْلِ ! هُنَـا ثائِرٌ
لَمْ يَرْحَمِ اَلشَّكُّ لَـهُ مَحْجِرا
يَقْتاتُ بِاَلظَّنِّ وَحُلْمُ اَلصِّبا
يُعَفِّرُ الجَفْنَ اَلَّذي اَسْتَكْبَرا
أَتْعَبَهُ اَللَّيْلُ وَلَمَّا يَزَلْ
يَرْقُبُ مِنْهُ اَلْقَمَرَ اَلنَّيِّرا . .
أَيُّ دُجيً تَشْهَقُ أَنْفاسُهُ
فَتَعْبُرُ اَلْبيدَ صَدىً مُخْبِرا

ٱلْأَزَلُ ٱلْبِكْرُ غفا في دَمي

فَأَنْكَرَتْ عَيْنايَ ما أَنْكَرا

لا بَدْءَ يَنْجابُ بِهِ حاضِري

وَلا غَدٌ أُشْفِقُ أَنْ يَعْثُرا

مِنْ كُوَّةِ ٱلْغَيْبِ ٱنبرَتْ راحَةٌ

تَرْسُمُ لي ٱلدَّرْبَ ٱلَّذي قُدِّرا

وَقيلَ : هَيْهاتَ ! فَأَلْفَيْتُني

أَشْهَدُ حَوْلي أَبَداً مُقْفِرا

وَٱلنَّجْمُ في ٱلنَّوْءِ فَمٌ مُتْعَبٌ

تَنْهَرُهُ ٱلرّيحُ إِذا أَنْذَرا . .

نادَيْتُ : يا لَيْلُ ! فَنَدَّ ٱلصَّدى

وَٱنْتَفَضَ ٱلصَّمْتُ وَناحَ ٱلثَّرى

وَٱزْدَحَمَ ٱلْأُفْقُ بِأَشْبَاحِهِ

فَرُحْتُ فِي ٱلْقَفْرِ أُطِيلُ ٱلسُّرَىٰ

أَحْمِلُ أَشْوَاقَ فَمٍ مُطْبَقٍ

وَأَخْدِجُ ٱلْأَسْوَارَ مُسْتَخْبِرَا

أَكَادُ أَسْتَلُّ أَبَاطِيلَهَا

وَأَرْجُمُ ٱلْوَهْمَ إِذَا قَصَّرَا

وَٱنْغَلَقَ ٱلْجَفْنُ عَلَىٰ رِيبَةٍ

فَٱغْرَوْرَقَتْ عَيْنَايَ مِمَّا أَرَىٰ

وَقُلْتُ لِلْغَيْمِ : هُنَا مَوْقِفِي

فَلَمْ أَكَدْ أُومِئُ حَتَّىٰ سَرَىٰ

وَٱنْكَشَفَ ٱلسِّتْرُ وَقِيلَ ٱقْتَرِبْ

فَخِلْتُنِي أَنْظُرُ مُسْتَغْفِرَا . .

## ٢

أَسْرَفْتَ يا لَيْلُ ! فَقُلْ أَيّ بابْ

تَقْرَعُهُ ٱلرُّوحُ وَراءَ ٱلْيَبابْ

ٱلدَّرْبُ قَدْ طالَ وَلَمّا أَزَلْ

أَسْأَلُ أَيّانَ يَكونُ ٱلإِيابْ

أَصْرُخُ : يالَيْلُ ! فَيَصْدىٰ فمي

وَيَصْفِقُ ٱلْأَرْضَ جَناحا غُرابْ

الأُفْقُ مَغلولُ ٱلرُّؤىٰ موحِشٌ

يَنْسُلُ في ٱللَّيْلِ ذُيولَ ٱلسَّحابْ

وَٱلنَّجْمُ في غُرْبَتِهِ غافِلٌ

يُعَلِّلُ ٱلْبيدَ بِحُلْمٍ عُجابْ ..

أُطْرِقُ وَٱللَّهفَةُ في ناظِري

فَتَزْحَمُ ٱلْعَيْنَ رُؤايَ ٱلكِذابْ

أَلْمَحُ في كُلِّ يَدٍ أَيْكَةً

وَأَنْدَهُ ٱلنَّجْمَ إِذا ٱلنَّجْمُ غابْ

لي في ٱلْمَتاهاتِ فَمٌ يَرْتَوي

وَناظِرٌ يَهْتِكُ سِرَّ ٱلْعَذابْ

وَغيمَـةٌ يَغْزِلُهـا إِصْبَعٌ

تَرْتَعِـدُ ٱلبيـدُ إِذا ما أَهـابْ

وَجَبْهَـةٌ جُنَّ عَلَيْهـا الصِّبـا

فَأَجْفَلَتْ مِنْها ٱلـرِّياحُ ٱلْغِضابْ

وَٱسْتَيْقَـظَ ٱلجَفْنُ فَضَجَّتْ رُؤًى

غَصَّ بِها ٱلْقَلْبُ وَضاقَ ٱلْإِهابْ..

هُناكَ في ٱلْغَيْبِ ٱرْتَمىٰ ناظِري

وَحَدَّقَتْ فِيَّ عُيونُ ٱلتُّرابْ

عَثَرْتُ بِٱللَّيْـلِ فَخِلْتُ ٱلدُّجىٰ

يَنْبُشُ في ٱلصَّدْرِ بَقـايا ٱرْتِيابْ

وَقُلْتُ لِلْقَلْبِ مَتَىٰ تَهْتَـدي

فَغَشَّتِ ٱلْعَيْنَ ظُنونُ عِذابْ

أَنـا ٱلَّذي هـامَ وَراءَ الرُّؤىٰ

فَعانَقَ ٱلْوَهْمَ وَطـالَ السَّرابْ

في طَرْفِيَ ٱلْـمُتْعَبِ أَسْرىٰ غَـدٌ

وَأَحْدَقَتْ شُهْبٌ وَأَغْفىٰ عُبـابْ

أَنْظُـرُ حَـوْلي فَـأَرىٰ قَبْضَـةً

هَوْجاءَ تَـنْقَضُّ وَراءَ الضَّبـابْ

وَكُـلَّمـــا أَوْغَـلَ بي خاطِـرٌ

أَلْـفَيْتُـني أَقْـرُبُ مِمّـا أَهابْ

أَسْأَلُ : مِنْ أَيْنَ ؟ فَتَثْني يَـدي

وَهْوَهَـةُ ٱلـرّيحِ وَنَوْحُ ٱلشِّعابْ

وَأُغْمِضُ ٱلطَّـرْفَ لَعَـلّي أَرىٰ

فَـأُبْصِرُ ٱللَّيْـلَ عَـلىٰ كُـلِّ بابْ ..

## ٣

هَلْ يَطْلُعُ ٱلْفَجْرُ عَلىٰ ٱلْبَلْقَعِ
فَتَعْلَمُ ٱلرّوحُ مَتىٰ مَرْجِعي
الدَّرْبُ في ٱللَّيْلِ ٱنْتَهَتْ بَغْتَةً
فَلَمْ أَجِدْ حَوْلِيَ مِنْ مَفْزَعِ ..

لا تُغْلِقِ ٱلْبابَ ! فَإِنَّ ٱلَّذي
أَسْرىٰ بِيَ ٱللَّيْلَةَ لَمْ يَقْنَعِ
كَلَّتْ يَدي وَٱلشُّهْبُ مَذْعورَةٌ
يَبْهَتُ في غُبْشَتِهـا مَوْقِعي
أُقَلِّبُ ٱلطَّرْفَ بِهـا تـارَةً
وَتـارَةً أَعْـثُرُ بِٱلْأَدْمُـعِ ..
أَيُّ فَمٍ يَغْزِلُ أَحْـلامَـهُ
وَراءَ هٰذا ٱلْـعَدَمِ ٱلْـمُفْزِعِ
إِنّي أَرىٰ ٱلصَّيْفَ خِلالَ ٱلْحَيـا
يَنْسِجُ أَفْوافَ غَـدٍ مُمْرِعِ
الْـمَوْقِـدُ ٱلْبـاكي وَنارُ ٱلْقِرىٰ
وَسامِرٌ في ٱللَّيْـلِ لَمْ يَهْجَعِ

وَقِصَّةٌ عَنْ شَبَحٍ زائِرٍ

غَصَّ بِهِ ٱلدَّرْبُ فَلَمْ يَرْجِعِ

وَطِفْلَةٌ تَلْغو بِأَوْهامِها

فَتَجْمَعُ ٱلكَوْنَ عَلى إِصْبَعِ

أُغْمِضُ عَيْنَيَّ إِذا ما بَدَتْ

وَأُسْدِلُ ٱلسِّتْرَ عَلى مَطْمَعي

وَأَنْهَرُ ٱلْحُلْمَ وَفي مَحْجِري

شَوْقٌ إِلى ٱلْغَيْبِ يُنادي مَعي . .

أَصْرُخُ : ياليْلُ ! لَعَلَّ ٱلصَّدى

يَبْلُغُ سَمْعَ ٱلأَبَدِ ٱلْمُسْرِعِ

أُريدُ أَنْ أَنْهَبَ هٰذا ٱلدُّجى

فَأَحْمِلَ ٱلنَّجْمَ إِلى مَضْجَعي

وَأَكْسِرَ ٱلْغُلَّ.. فَيَنْدى ٱلصَّفا
وَيَنْبُتَ ٱلْوَرْدُ عَلى ٱلْأَذْرُعِ
ظَمْآنُ أَشْتاقُ رَفيفَ ٱلنَّدى
وَكَرَّةَ ٱلطَّيْرِ عَلى ٱلْمَشْرَعِ
أَصْرُخُ: يا لَيْلُ! فَيَدْنو ٱلسُّها
وَيُنْبِئُ ٱلظُّلْمَةَ عَنْ مَوْضِعي
وَيَعْفِرُ ٱلْأَرْضَ بِأَنْفاسِهِ
كَأَنَّهُ يَبْحَثُ عَنْ مَطْلِعِ..
وَأَطْرُقُ ٱلْبابَ فَتَهْوي يَدي
عَلى يَدٍ تَعْبَثُ في أَضْلُعي
أَرْهِفُ أُذْني فَتَنوحُ ٱلذُّرى
وَأَسْمَعُ ٱلرّيحَ تَصيحُ: ٱرْجِعِ!

٤

يا حادِيَ ٱلْأَنْجُمِ ! مُلَّ ٱلطَّريقْ
فَرُدَّ لي ٱلْكَأْسَ لَعَلّي أُفيقْ
الحَانَةُ ٱلْكُبْرىٰ تَراءَتْ لَنا
فَأَمَّتِ ٱلدَّرْبَ فُلولُ ٱلرَّفيقْ

تَشْهَقُ في ٱللَّيْلِ قَناديلُهـا
فَيَنْغَتُ ٱلضَّوْءَ غَمـامٌ رَقيقْ

أَدْفَعُ في هُوَّتِهـا ناظِري
فَأَجْتَلي أَغْـوارَ قَبْـوٍ عَتيقْ

وَأَطْرُقُ ٱلْبَابَ فَيَنْتابُني
خَوْفٌ مِنَ ٱللَّيْلِ عَميقٌ.. عَميقْ!

النّاسُ في ٱلْقَبْوِ وَهٰـذي يَـدٌ
تَقْرَعُ في ٱلْغَيْبِ سِياطَ ٱلْبُروقْ

أَنْظُرُ في أَعْيُنِهِمْ خِلْسَـةً
فَأُبْصِرُ ٱلْقَيْدَ يَعَضُّ ٱلْعُروقْ..

النّاسِكُ ٱلْمُتْعَبُ مُسْتَغْرِقٌ
يَنْشُدُ في الْحانِ صِباهُ ٱلْوَريقْ

وَفِتْيَةٌ تَغْمِزُ أَقْداحَها
فَوْقَ أَباطيلِ شَبابٍ أَنيقْ
وَٱمْرَأَةٌ سَكْرىٰ تَبيعُ ٱلْهَوىٰ
وَقَلْبُها يَنْزِفُ مِمّا تُطيقْ
وَعاشِقٌ أَشْفَقَ مِمّا رَأَىٰ
فَعانَقَ ٱلدَّنَّ عِناقَ ٱلرَّفيقْ
تَشْرَقُ عَيْناهُ بِأَوْهامِهِ
فَيَغْمُرُ ٱلْكَأْسَ بِدَمْعٍ دَفيقْ
يَرْنو إِلىٰ شَيْخٍ يَسُدُّ ٱلْكُوىٰ
وَيَخْدِجُ ٱللَّيْلَ بِطَرْفٍ حَنيقْ
يَسْأَلُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَتَفْري ٱلدُّجىٰ
صَيْحَةُ سِكّيرٍ يَفُضُّ ٱلرَّحيقْ

الظَّمَأُ ٱلْمُحْرِقُ يَكْوي فَمي
فَخَلِّني أَشْرَبُ مِمّــا تُريقْ ..
أَوْمَأْتُ لِلْكَأْسِ أَبُلُّ ٱلْحَشا
فَأَجْفَلَ ٱلظِّلُّ وَغاضَ ٱلْبَريقْ
وَصِحْتُ بِٱلشَّيْخِ فَلَمّا دَنا
أَبْصَرْتُ في فيهِ بَقــايا حَريقْ
طَأْطَأْتُ رَأْسي وَٱلدُّجى عابِسٌ
وَٱلْقَبْوُ في ٱلصَّمْتِ غَريقٌ .. غَريقْ
وَقُلْتُ ما قُلْتُ ! فَناحَ ٱلصَّدى
وَأَنَّتِ ٱلرِّيحُ وَغُمَّ ٱلطَّريقْ
وَٱنْكَفَأَ ٱلْكَأْسُ ! فَشُلَّتْ يَدٌ
وَمَزَّقَ ٱللَّيْلَ نُبــاحٌ سَحيقْ ..

## ٥

أمامَكَ ٱللّيْلُ ! فَمَنْ تَنْظُرُ
أَتَلْمَحُ ٱلنَّجْمَ ٱلذي يَعْثُرُ
الأَوْجُهُ ٱلْخَرْساءُ تَرْتابُ بي
فَتَزْحَمُ ٱلدَّرْبَ ٱلَّذي أَعْبُرُ

تَحْدِجُني كُدْرَةَ أَحْداقِها

وَنِقْمَةٌ في فَمِها تَهْدِرُ

وَنَظْرَةٌ بَكْماءُ.. مَقْهورَةٌ

يَلْهَثُ فيها ٱلْأَبَدُ ٱلْموقَرُ

إِذا دَنَتْ ضِقْتُ بِأَنْفاسِها

كَأَنَّها في كَبِدى تَزْفُرُ..

أَلْمَحُها حَوْلِيَ مُلْتاثَةً

فَأَتْرُكُ ٱلْجَفْنَ بِها يَكْدُرُ

أَخافُ أَنْ أَلْمُسَ أَغلالَها

فَأَنْكَأَ ٱلْجُرْحَ ٱلَّذي يَنْغَرُ..

أَلدَّرْبُ قُدّامي ! وَلي وِجْهَةٌ

يَحْجُبُها ٱللَّيْلُ ٱلَّذي يَكْفُرُ

قافِلَةٌ ظَمْأىٰ تَجوبُ ٱلْفَلا
وَيَرْتَوي مِنْها ٱلْغَدُ ٱلْمُقْفِرُ
أَتْبَعُها وَحْدي ! فَأَعْيا بِها
وَأَسْأَلُ ٱلنَّجْمَ مَتىٰ يَظْهَرُ
أَنَتْرُكُ ٱلرّوحَ تُطيلُ ٱلسُّرىٰ
في غُرْبَةٍ لَيْسَ بِها مَعْبَرُ
سَأَلْتُها تَهْتِكُ أَسْتارَها
فَخِلْتُ فيها هُوَّةً تَفْغَرُ
بَعْثَرْتُ دُنْيايَ عَلىٰ تُرْبِها
وَرُحْتُ في ظُلْمَتِها أَعْبُرُ
وَسِرْتُ وَحْدي .. أَتَقَرّىٰ ٱلدُّجىٰ
وَأَتْبَعُ ٱلْحُلْمَ ٱلَّذي يَنْفُرُ ..

ٱلدَّرْبُ قَدْ طَالَ ! فَحَلِّ ٱلرُّؤىٰ

وَقُلْ لِعَيْنَيْكَ : هُنَا نُحْشَرُ ..

أَيُّ يَدٍ تَدْمىٰ بِأَطْوَاقِهَا

وَأَيَّ أَحْلامي تُرىٰ أَذْكُرُ !

تَرَنَّحَ ٱلْكَأْسُ وَطَاشَ ٱلْهَوىٰ

وَجَفَّتِ ٱلْخَمْرُ ٱلَّتي تُسْكِرُ

وَٱجْتَرَأَ ٱلدَّهْرُ عَلىٰ مَفْرِقي

وَغَالَتِ ٱلنَّجْمَ يَدٌ تَغْدُرُ

وَٱحْتُضِرَ ٱللَّيْلُ سِوىٰ زَفْرَةٍ

أَتْرُكُهَا فَوْقَ فَمي تَجْأَرُ

وَٱنْكَشَفَ ٱلسِّتْرُ وَقِيلَ ٱقْتَرِبْ

وَلَمْ أَزَلْ أُنْكِرُ مَا أُنْكِرُ ..

١٩٥٦

# إلى الأبد

أَطْلِقي حُلْمَكِ أُخْتاهُ ! فَقَدْ أَوْشَكَ يَزْهَقْ
وَٱحْضُني ٱلْأَمْسَ فَلَنْ يَقْهَرَنا ٱلْوَهْمُ ٱلْمُمَزَّقْ
وَٱذْرَعي ٱلْكَوْنَ كَما شِئْتِ .. فَقَدْ فاضَ وَأَغْدَقْ
وَٱشْرَأَبَّ ٱلصُّبْحُ يَسْتَغْفِرُ عَنْ لَيْلٍ مُطَبَّقْ ..
أَقْبِلي تَزْدَحِمِ ٱلْأَخْراجُ بِٱلْوَرْدِ وَتَشْرَقْ
وَٱخْطُري يَنْهَمِرِ ٱلطِّيبُ عَلَى ٱلدَّرْبِ وَيُهْرَقْ
أَيَّ زَهْوٍ يَهَبُ ٱلْأَرْضَ هَوانا .. أَيَّ رَوْنَقْ
خَطَرَتْ أَقْدامُنا أَمْسِ عَلَى ٱلصَّخْرِ فَأَوْرَقْ
وَٱرْتَمى ٱلطَّيْرُ عَلَى راحاتِنا ٱلْبيضِ وَصَفَّقْ ..

كَذَبَ ٱلنّاسُ ! فَلَنْ نَعْنُوَ لِلْيأْسِ وَنَفْرَقْ
نَحْنُ أَقوىٰ مِنْهُ ياأُخْتُ عَلَى ٱلصَّبْرِ وَأَصْدَقْ
فَلَنا ٱلْغابُ وَما في ٱلْغابِ مِنْ طيبٍ مُعَتَّقْ
وَلَنا ٱلطَّيْرُ إِذا غَرَّدَ في ٱلْأَيْكِ وَزَقْزَقْ
وَلَنا ٱلنَّجْمُ إِذا ضَوَّأَ في ٱللَّيْلِ وَأَشْرَقْ
وَلَنا ٱلْغَيْمُ ٱلذي يَشْرُدُ في ٱلْأُفْقِ وَيَأْبَقْ
وَلَنا ٱلْحُبُّ ٱلَّذي يَهْزَأُ بِالْيَأْسِ الْمُغَلَّقْ
وَلنا أُقصوصَةٌ تُسْرَدُ في ٱلْحَقْلِ وَتُطْلَقْ
يُنْصِتُ ٱللَّيْلُ لَها وَٱلْحِرْجُ وَٱلسَّفْحُ ٱلْمُزَوَّقْ..

* * *

عَجَبًا تَشْرُدُ عَيْناكِ مَعَ ٱلظَّنِّ الْمُلَفَّقْ
أَتُرىٰ رابَكِ هٰذا ٱلنَّغَمُ ٱلْحُلْوُ ٱلْمُرَوَّقْ..
أَنا لا أُنْكِرُ أُخْتاهُ شَبابي كَيْفَ يُنْفَقْ

أنا لا أُنكِرُ ما أَكْتُمُ في ٱلطَّرْفِ ٱلْمُؤَرَّقْ
أَلَمْ حُمِّلْتُهُ في بُكْرَةِ ٱلْعُمْرِ ٱلْمُنَمَّقْ
لَمْ أَزَلْ أَسْمَعُهُ يَزْفُرُ في ٱلْقَلْبِ وَيَشْهَقْ..
عَفْوَ عَيْنَيْكِ إذا أَسْرَفَ قَلْبي أَوْ تَحَرَّقْ
لا تَقولي: أَرْهَبُ ٱلدَّهْرَ! فَمَنْ يَرْهَبُ مُصْعَقْ
أَوْقِدي ٱلنّارَ فَلَنْ يُطْفِئَها ٱللَّيْلُ ٱلْمُطبَقْ
وَٱشْرَحي ٱلشَّوْقَ فَلَنْ يَكْبُتَهُ ٱلْيأْسُ ٱلْمُغْلَقْ
وَثِقي بي فَأَنا رائِمُكِ ٱلْبَرُّ ٱلْمُصَدَّقْ
أَنْتِ دُنْيايَ! فَهَلْ أَكْفُرُ بِٱلْأَمْسِ ٱلْمُوَفَّقْ؟
أَنا باقٍ أَزْجُرُ ٱلْقَلْبَ إذا أَنَّ وَأَطْرَقْ
كُلَّما أَوْشَكَ يَحْكي أَوْ رَأى ٱلدَّمْعَ تَرَقْرَقْ
قَبَّلَ ٱلْجُرْحَ فَأَلْفى دَمَهُ مازالَ يَعْبَقْ..!

١٩٥٠

# ظلال على الطريق

لِمَنْ شَبَحٌ في ٱلدَّرْبِ بارَكَهُ فَمي
يَروعُ عَلىٰ جَفْنَيَّ حَفْنَةَ أَنْجُمِ
يَخوضُ إِلَيَّ ٱللَّيْلَ وَٱللَّيْلُ موحِشٌ
فَأَصْحو عَلىٰ أَنفاسِهِ فَوْقَ مِعْصَمي
يَظَلُّ عَلىٰ بابي يُطيلُ دُعاءَهُ
فَأَنْثُرُ أَشْواقي عَلىٰ فَمِهِ ٱلظَّمي
أَشُقُّ لَهُ ٱلأُفُقَ ٱلْعَريضَ وَفي دَمي
تَلَهُّفُ سارٍ في سَرابٍ مُدَوَّمِ

أَصيحُ بِأَحْلامي وَقَدْ خفتَ ٱلصَّدىٰ
فَتَبْغتُني أَشْباحُ لَيْلٍ مُخَيِّمِ
حَنَوْتُ عَلَيْها وَٱلرُّؤىٰ تَزْحَمُ ٱلرُّؤىٰ
فَأَلْفَيْتُني أَحْنو عَلىٰ أُفُقٍ عَمي . .
وَضَجَّ فَمي بِٱلذِّكْرَياتِ فَلَمْ أَجِدْ
سِوىٰ حُلُمٍ غافٍ يُهَدْهِدُهُ دَمي
يَشوقُ ٱلسُّرىٰ طَرْفي فَيَحْلُمُ بِالرُّقىٰ
تَشُقُّ بِهِ أَطْباقَ غَيْبٍ مُكَتَّمِ
وَيَعْلَقُ بِٱلْغَيْمِ ٱلَّذي يَطَأُ ٱلسُّها
وَبِٱلْمُزْنَةِ ٱلظَّمأىٰ تَلوبُ وَتَرْتَمي
أَكادُ أَرىٰ نَجْمَيْنِ في كُلِّ ذِرْوَةٍ
فَيَشْرَقُ جَفْني بِٱلْبَريقِ ٱلْمُلَمْلَمِ

أدورُ علىٰ وَعْدٍ يُغَيِّبُهُ ٱلدُّجىٰ
وَدُنيا مِنَ ٱلأَسْرارِ لَمْ تُتَوَهَّمِ
وَأُغْضي فَيَحْنو ٱللَّيْلُ فَوْقَ تَرَقُّبي
وَتَعْثُرُ أَهْدابي بِحُلْمٍ مُسَلَّمِ
أَلوبُ بِأَحْداقِ ٱلعِطاشِ وَلِلْمُنىٰ
بَقِيَّةُ صَمْتٍ تَشْرَئِبُّ عَلىٰ فَمي
وَأَذْكُرُ أَيّامي فَتَشْمَخُ قِمَّةٌ
تَرَكْتُ عَلىٰ أَعْناقِها الشُّمِّ مِيسَمي
وَأُصْغي لِأَطْيافٍ يَلِجُّ بِها ٱلْهَوىٰ
فَتَخْفِقُ حَوْلي بِٱلْجَناحِ ٱلْمُهَيْنِمِ
أَهُمُّ بِها وَٱلشَّوْقُ يُوقِرُ مَحْجِري
فَيَصْرُخُ صَوْتٌ في ٱلْغُيوبِ : تَقَدَّمِ

أُمُدُّ وَرائي ٱلطَّرْفَ وَٱللَّيْلُ موحِشٌ
فَتُدْرِكُني في ٱلدَّرْبِ أَنَّةُ أَبْكَمِ
بَقِيَّةُ أَيّامٍ تَرَكْتُ رَبيعَها
يَنامُ عَلىٰ زَنْدِ ٱلْخَريفِ ٱلْمُهَوَّمِ
وَصَوْتٌ يُناديني إِذا وَقَبَ ٱلدُّجىٰ
فَأُرْهِفُ أُذْني لِلْحَديثِ ٱلْمُرَجَّمِ
وَشَيْءٌ وَراءَ ٱلْأُفْقِ يَغْمِزُ خاطِري
فَيُشْفِقُ طَرْفي أَنْ يُلِمَّ بِمُعْتِمِ
تُطَوِّفُ عَيْني بُرْهَةً ثُمَّ تَرْتَمي
عَلىٰ أَنْجُمٍ في أُفْقِيَ ٱلْبِكْرِ حُوَّمِ
وَسِفْرٍ مِنَ ٱلذِّكْرىٰ يُوَسْوِسُ في دَمي
فَأُرْسِلُ في أَوْراقِهِ يَدَ مُغْرَمِ

إِذا اُقْتَرَبَتْ عَيْني تَلُمُّ حُروفَهُ
رَأَيْتُ قُطوفَ الْوَرْدِ تَغْمُرُ مِرْقَمي..
ظِلالٌ عَلىٰ دَرْبي يُدَفِّعُها اُلْهَوىٰ
فَأَيْنَ تُرىٰ أَمْضي إِذا غُمَّ مَعْلَمي ؟
أَأَنْظُرُ خَلْفي ؟ وَالسُّنونُ تَفوتُني
وَتَتْرُكُ في كَأْسي بَقِيَّةَ عَلْقَمِ
وَفي عالَمي حُلْمٌ أَبُلُّ غَليلَهُ
وَنَجْمٌ أُناديهِ إِذا جُنَّ عَيْلَمي
وَظِلٌّ مِنَ الْماضي يُهَدْهِدُهُ الصِّبا
وَيَغْفو وَراءَ الْهُدْبِ غَفْوَةَ مُلْهَمِ
وَدُنْيا مِنَ اُلْأَشْواقِ نَدَّ عَبيرُها
فَفَرَّقَ أَحْداقي وَأَسْكَرَ أَعْظُمي

أُجيلُ بِها طَرْفي فَتَحْمِلُني ٱلرُّؤىٰ
إلىٰ قِمَّةٍ بَيْضاءَ تَرْقُبُ مَقْدَمي
تَكادُ ٱلدُّروبُ ٱلْخُضْرُ تَزْحَمُ ناظِري
فَأُغْمِضُ أَجْفاني عَلَى أَلْفِ بُرْعُمِ
وَأَخْلو إلىٰ كَرْمي أَدُكُّ سِياجَهُ
وَأَفْتَحُ صَدْري لِلصَّباحِ ٱلْمُنَمْنَمِ
أَمُدُّ يَدي حَتّىٰ أُحِسَّ بِنَشْوَةٍ
مِنَ ٱلْمَلَأِ ٱلْأَعْلىٰ تَمُرُّ بِمَبْسِمي ..
هُنا في زَوايا ٱلدَّرْبِ غَمْغَمَتِ ٱلرُّؤىٰ
فَجُنَّتْ أَمانِيَّ ٱلظِّماءُ عَلىٰ فَمي
هَمَمْتُ أُناديها فَخَفَّ خَيالُها
وَمَرَّتْ يَدُ ٱلْأَوْهامِ تَنْسُلُ أَنْجُمي

أَسيرُ وَقَدْ بَثَّ الظَّلامُ عُيونَهُ
فَيوغِلُ طَرْفي في طَريقٍ مُحَرَّمِ

أَشُقُّ سُدولَ ٱلْغَيْبِ وَٱلدَّرْبُ مُقْفِرٌ..
فَأَيُّ فَمٍ في اللَّيْلِ يُنْكِرُ مَزْعَمي؟

وَقَفْتُ أَذودُ ٱلعاصِفاتِ فَأَجْفَلَتْ
عَلىٰ جَبْهَةٍ شَمّاءَ لَمْ تَتَجَهَّمِ

وَأَنْفُضُ شَكّي في ٱلطَّريقِ فَأَجْتَلي
نَقاوَةَ أَوْزاري وَعِفَّةَ مَأْثَمي

وَدارَيْتُ أَشْواقي فَأَوْمَأَ مَوْعِدٌ
أَضاءَ بِهِ لَيْلي وَأَزْهَرَ مَوْسِمي

وَعُدْتُ إِلىٰ قَلْبي أَهُزُّ سُباتَهُ
فَخِلْتُ ٱلْوُجودَ ٱلرَّحْبَ يَخْفِقُ في دَمي!

١٩٥٥

# كان ما كان

كانَ ما كانَ بَيْنَنـــا
فَلِمَنْ تَهْزَجُ الْمُنى

نَحْنُ إنْ نَفْتَرِقْ فَمَنْ يُرْضِعُ النَّجْمَ بَعْدَنا !
ما لِعَيْنَيْكِ تَضْرَعا نِ .. أفي الأَرْضِ غَيْرُنا
طَرْفُكِ الأَزْرَقُ العميـــقُ .. تُرى كَيْفَ لَوَّنا
أنا في البَحْرِ والضِّيا ءِ قَدِ اخْتَرْتُ مَسْكَنا
وَيَداكِ الأَنيقتـــا نِ .. أما كانَتا هُنا
ألفُ سِرْبٍ مِنَ النُّجو مِ غَفَتْ أَمْسِ عِنْدَنا ..

نَحْنُ في قُبَّةِ الْوُجو    دِ تَخِذْنا مُطَلَّنا
الرَّبيعُ الزُّمُرُّدِ    يُّ جَعَلْناهُ .. بَيْتَنا
وَالْغُيومُ الْمُوَرَّدا    تُ .. تَدافَعْنَ فَوْقَنا
وَالدَّوالي .. أَلَمْ تَكُنْ    تَفْرِشُ الظِّلَّ حَوْلَنا
وَالْعَصافيرُ تَشْرَئِبْ    بُ إذا رَنَّ صَوْتُنا
وَالشُّجَيْراتُ في الطَّرِيـ    ـقِ يُقَبِّلْنَ ظِلَّنا ..
حُلُمٌ شَقَّ في الْجُفو    نِ صَباحاً مُلَوَّنا
أَطْبَقَتْ فَوْقَهُ الْحَيا    ةُ فَلَمْ تُبْقِهِ لَنا
وَانْتَبَهْنا عَلى الْفِرا    قِ .. فَأَطْرَقْتُ مُذْعِنا
الْغَريبانِ يَبْكِيا    نِ ! فَيا قَلْبُ عُدْ بِنا
شَرِقَ الجَفْنُ بِالدُّمو    عِ .. فَلَمْ أَدْرِ مَنْ أَنا
أَتَمَنّى لَوَ انَّنا    لَمْ نَجِدْ بَعْدُ مَوْطِنا !

١٩٥٤

# أأذهب وحدي

قِفي! لَنْ تَضيقَ بِنا الذِّكْرياتُ

وَلَنْ نَتْرُكَ الأَمْسَ حَتّى يُفيقْ

هُوَ الْحُلْمُ جُنَّ عَلى ناظِرَيَّ

فَعُذْتُ بِعَيْنَيْكِ مِمّا يُطيقْ

وَسِرْتُ بِهِ في الدُّروبِ الْعِطاشِ

فُغُمَّ الْفَضاءُ وَجَفَّ الرَّحيقْ

وَأَوْشَكْتُ أَلْمُسُ فَوْقَ التُّرابِ

بَقِيَّةَ ماضٍ جَريحٍ رَقيقْ ..

تَدَفَّتْ أَسْأَلُ عَنْكِ ٱلْوُعودَ
فَعَزَّ ٱللِّقاءِ وَطالَ ٱلطُّروقْ
وَعُدْنا غَريبَيْنِ نَطْوي ٱلدُّروبَ
وَراءَ خَيالٍ سَحيقٍ .. سَحيقْ
تَمُرِّينَ عابِرَةً في ٱلطَّريقِ
فَأُشْفِقُ أَنْ نَلْتَقي في ٱلطَّريقْ
وَأَسْأَلُ عَنْكِ كَما تَسْأَلينَ
وَأُطْرِقُ في غَفْلَةٍ لا أُفيقْ
كَأَنَّكِ لَمْ تَعْرِفي ساعِدَيَّ
وَلَمْ أَحْبُ عَيْنَيْكِ هٰذا ٱلْبَريقْ
وَأَمْسَحْ جَدائِلَكِ ٱلْمُذْهَباتِ
بِأَلْفِ أَريجٍ زَكِيٍّ عَبيقْ

وَلَمْ تَلْثُمي ناظِري مَرَّتَيْنِ
مَخافَةَ بَيْنٍ وَشيكٍ مُحيقْ
وَلَمْ نَمْشِ في ٱللَّيْلِ مُسْتَغْرِقَيْنِ
نَخوضُ ٱلدُّجىٰ وَنَعُدُّ ٱلْبُروقْ
وَأَبْصارُنا تَسْتَشِفُّ ٱلْغُيوبَ
وَتُوغِلُ خَلْفَ ٱلْغَمامِ ٱلصَّفيقْ ..

* * *

قِفي! لَنْ تَطولَ بِنا ٱلذِّكْرَياتُ
وَلَنْ نَحْبِسَ ٱلْحُلْمَ حَتّىٰ يَضيقْ
هُوَ ٱللَّيْلُ يَحْجُبُ عَنّا ٱلسَّماءَ
فَماذا وَراءَ ٱلْقَتامِ ٱلسَّحيقْ

أأَرْجِعُ ؟ عفْوَكِ لَنْ أَسْتَطيعَ
فَقَدْ نالَ مِنّي عَناءُ ٱلطَّريقْ
لَقَدْ وَهَنَ ٱلْحُبُّ في ناظِرَيَّ
فَلَنْ يَسْكَرَ ٱلْكَرْمُ مِمّا أُريقْ
وَلَنْ يَنْقُرَ ٱلطَّيْرُ هٰذا ٱلْفُتاتَ
تُذَرِّينَهُ في ٱلْفِناءِ ٱلْوَريقْ
وَلَنْ نَفْجَأَ ٱلرَّوْضَ عِنْدَ ٱلْبُكورِ
وَزَنْبَقُهُ لَمْ يَكَدْ يَسْتَفيقْ
وَلَنْ أَنْثُرَ ٱلْوَرْدَ وَٱلْياسَمينَ
عَلَى ثَوْبِكِ ٱللَّيْلَكِيِّ ٱلْأَنيقْ
وَلَنْ نَرْقُبَ ٱلشَّمْسَ عِنْدَ ٱلْغُروبِ
تَجُرُّ ٱلدُّجى .. وَتَلُمُّ ٱلْعَقيقْ

وَلَنْ نَقْطَعَ ٱللَّيْلَ في زَوْرَقٍ
يُحاذِرُ نُوتِيُّهُ أَنْ نُفيقْ
وَلَنْ نَرْقُبَ ٱلنَّجْمَ مُسْتَلْقِيَيْنِ
وَراءَ جِدارٍ عَتيقٍ .. عَتيقْ
نَبوحُ فَتَهْزَجُ عُصْفورَتانِ
وَيَرْوي ٱلنَّدى في عُيونِ ٱلشَّقيقْ..
وَلَنْ نَعْبُرَ ٱلدَّرْبَ مُسْتَسْلِمَيْنِ
لِهٰذا ٱلسُّكونِ ٱلعَميقِ .. ٱلْعَميقْ
يَدانا تَشابَكَتا .. وَٱلنُّجومُ
تُواكِبُنا في ٱلْفَضاءِ ٱلطَّليقْ
كَأَنَّ ٱلْوُجودَ ٱمَّحى في ٱلظَّلامِ
وَغابَ ٱلطَّريقُ وَغَصَّ ٱلْبَريقْ

وَلَمْ يَبْقَ فَوْقَ بلاطِ ٱلدُّروبِ

سِوىٰ ظِلِّنا ٱلْمُطْمَئِنِّ ٱلرَّفيقْ..

فَدَيْتُكِ! ماذا عَرا ناظِرَيْكِ

وَأيُّ غَدٍ جُنَّ مِمّا نُطيقْ

تَخافينَ؟! أُخْتاهُ ماذا نَخافُ

وَلَمْ نَجْنِ غَيْرَ ٱلْأَسىٰ وَٱلْحَريقْ

كَما شِئْتِ! فَلْنَئِدِ ٱلذِّكْرَياتِ

وَنَطْوِ ٱلْمُنىٰ. وَنُتِمَّ ٱلطَّريقْ..

١٩٥٤

# أنتِ لي

وَدَّعْتِني ! وَتَرَكْتِني وَحْدي
أَطْوي ٱلطَّريقَ . . فمَنْ أتى بَعْدي
أَنا لِلنُّجومِ أَضُمُّ زُرْقَتَها
وَأَجُرُّ فَوْقَ بَريقِها خَدّي
إنْ تُنْكِري أيّامَنا . . فَلَنا
عَبَقُ ٱلْوُعودِ وَشَهْقَةُ ٱلْوَجْدِ
أو كُنْتِ ناسِيَةً فَقَدْ سَكِرَتْ
عَيْناكِ مِنْ غَزَلي وَمِنْ مَجْدي !

أَنَسيتِ زَهْوَكِ ؟ يا الْكافِرَةِ

جُنَّتْ غدائِرُها عَلىٰ زَنْدي

كَمْ غمْغَمَتْ شَفَتاكِ فَوْقَ فَمي

قِصَصَ ٱلْهوىٰ وَخُرافَةَ ٱلْعَهْدِ . .

لا تُغْلِقي جَفْنَيْكِ مُتْعَبَةً

أَنا لَنْ أَبوحَ وَأَنْتِ لَنْ تُبْدي

عَيْناي رافَقَتاكِ في أُفُقٍ

غَذَّيْتِ فَوْقَ سَرابِهِ حِقْدي

ساءلْتُ عَنْكِ ! فَهَزَّني قَلَقٌ

في ناظِرَيْكِ يَكادُ يَسْتَجْدي

أَلَكِ ٱلرَّبيعُ ؟ سَليهِ أَيُّ شَذًى

لَمْ يَهْمِ مِنْ نَغَمي وَمِنْ وَرْدي

وَالْحُلْمُ ؟ كَمْ إشْرَاقَةٍ غَرَبَتْ
مَزَّقْتُ فَوْقَ جِرَاحِهَا كَبِدِي
وَاللَّيْلُ ؟ عَفْوَكِ أيُّ نَيِّرَةٍ
لَمْ يَخْنُ فَوْقَ سُهَادِهَا سُهْدِي
وَالذِّكْرَيَاتُ ؟
فَدَيْتُكِ افْتَكِرِي
أَفَمَا تَرَكْتِ أُحِبُّهَا ..
عِنْدِي ؟ !

١٩٥٤

# نشيد الأنشاد

## ١

أَتُومِئُ لي عَيْناكِ أَمْ أَنا أَحْلُمُ
شَبابُكِ يَدْعوني وَطَرْفُكِ يُلْهِمُ
وَكَفُّكِ هٰذي تَطْمَئِنُّ إلىٰ يَدي
فَتُزْهِرُ جَنّاتٌ وَتَخْفِقُ أَنْجُمُ
فَرَشْتُ بِأَهْدابي ٱلطَّريقَ فَأَقْبِلي
دُروبُكِ أَعْيادٌ وَيَوْمُكِ مَوْسِمُ

بِعَيْنَيْكِ آبادٌ تَكادُ نُجومُها

تَخوضُ إليَّ ٱللَّيْلَ وَٱللَّيْلُ مُظْلِمُ

يَهُمُّ بِها طَرْفي فَتَسْأَلُهُ مَتىٰ

فَيَجْأَرُ بي شَوْقٌ وَيُنْكِرُني دَمُ

كَأَنّي وَقَدْ غَرَّقْتُ فيكِ نَواظِري

أُحِسُّ بِحُلْمٍ في ٱلْعُيونِ يُغَمْغِمُ

فَفي كُلِّ جَفْنٍ قِصَّةٌ أَسْتَعيدُها

وَفي كُلِّ هُدْبٍ مَوْعِدٌ يَتَكَلَّمُ..

أَكادُ أَلُمُّ ٱلذِّكْرياتِ عَلى دَمي

وَأُمْسِكُ أَنْفاسي إِذا شَهَقَ ٱلْفَمُ

يَضيقُ بِيَ ٱلْكَوْنُ ٱلْعَريضُ فَأَنْثَني

أُهَدِّمُ مِنْ أَسْوارِهِ ما أُهَدِّمُ

أَرودُ بِعَيْنَيْكِ ٱلْغُيوبَ فَتَنْجَلي
وَيَنْدى بِأَهْدابي الرَّبيعُ ٱلْمُنَمْنَمُ
وَتَأْخُذُ طَرْفي نَجْمَةٌ تَعِدُ ٱلسُّها
وَحُورِيَّةٌ غَيْرى تَكادُ تُسَلِّمُ . .
وَأُغْمِضُ أَجْفاني فَأُبْصِرُ واحَةً
تُلَوِّحُ لي فَوْقَ ٱلرِّمالِ فَأُقْدِمُ
أَشُقُّ سُكونَ ٱللَّيْلِ أَسْأَلُ عَنْ غَدي
وَأَدْنو لِلُقْياهُ كَأَنِّيَ مُحْرِمُ !
لَقيتُكِ في دَرْبي فَأَوْرَقَ ذابِلٌ
وَأَشْرَقَ مَحْزونٌ وَضَوَّأَ مُظْلِمُ
وَأَطْرَقْتُ لا أَدْري وَقَدْ ضاءَ عالَمي
أَتومِئُ لي عَيْناكِ أَمْ أَنا أَحْلُمُ !

## ٢

### بلقيس ★ صفيّة

**صفيّة**

هُوَ ٱلنَّجْمُ سَيِّدَتي ! فَٱتْرُكيهِ
يَجُرُّ غَلائِلَهُ في ٱلْمَدىٰ
كَأَنّي بِهِ يَزْدَهيهِ ٱلْوُجودُ
وَتَبْهَتُهُ شَهْقَةٌ في ٱلدُّجىٰ
تُرىٰ ما وَراءَكِ ؟ إِنّي أُحِسُّ
بِعَيْنَيْكِ تَتَّهِمانِ ٱلْقَضا ..

أُحِسُّ بِعاصِفَةٍ في ٱلْعُروقِ

يَنوءُ بِها طَرْفُكِ ٱلْمُفْتَدىٰ

بلقيس

صَفِيَّةُ لا تُنْكِري أَنْ أَضيقَ

فَقَدْ أَشْفَقَ ٱلْقَلْبُ مِمّا رَأىٰ

أَهٰذا سُلَيْمانُ ! يُخْفي ٱلْمَلالَ

وَيُنْكِرُ مَوْعِدَنا إِنْ دَنا

كَأَنَّ عَلىٰ عَيْنِهِ نَظْرَةً

تُحاوِلُ أَنْ تَبْلُغَ ٱلْمُنْتَهىٰ . .

صفيّة

لَكِ ٱلْمَجْدُ سَيِّدَتي ! هَلْ يَهونُ

ضِياءُ ٱلشُّموسِ إِذا ما نَأىٰ ؟

وَماذا تَخافينَ ؟ وَٱلْكائِناتُ
تَفيضُ بَشائِرُها بِٱلرِّضا
يَتيهُ بِكِ ٱلْمُلْكُ وَٱلْعُنْفُوانُ
وَيُزْهىٰ ٱلْجَلالُ وَتَزْهو ٱلدُّنىٰ

**بلقيس**

أَخافُ .. أَخافُ ٱنْطِفاءَ ٱلنُّجومِ
إِذا غَضَّ ناظِرُهُ بِٱلْهَوى
وَكانَتْ تُضيءُ بِهِ ٱلذِّكْرَياتُ
وَيَطْفو ٱلنَّعيمُ وَتَنْدىٰ ٱلرُّؤىٰ
وَكَمْ مَرَّةٍ راوَدَتْهُ ٱلْعُيونُ
فَأَنْغَضَ جَبْهَتَهُ وَٱنْطَوىٰ ..

يَمُرُّ فَتَفْرَقُ مِنْهُ ٱلظُّنونُ

وَتَحْذَرُ جَفْوَتَهُ إِنْ رَنا

وَتَشْرُدُ أَحْداقُهُ بَغْتَةً

فَأَبْصِرُ فيهِنَّ ما لا يُرىٰ

أَرىٰ هُوَّةً تَغْتَلي بِٱلشُّكوكِ

وَتَنْطِقُ ظُلْمَتُها بِٱلْوَنىٰ

**صفيّة**

لَعَلَّكِ واهِمَةٌ . .

**بلقيس**

كَمْ وَدِدْتُ

لَوَ اَنّي أَعودُ بِهِ ٱلْقَهْقَرىٰ

أَتَنْسَيْنَ عَيْنَيْهِ عِنْدَ ٱللِّقَاءِ
وَأَيُّ بَرِيقٍ غَرِيبٍ بَدَا ..

**صفيَّة**

أَكَانَ يُحِبُّكِ ؟

**بلقيس**

يَا لَلْغَبَاءِ ..
لَقَدْ كَانَ يَبْحَثُ عَنِّي سُدَىٰ !

## سليمان ★ آصف

**سليمان**

سَأَلْتُكَ آصَفُ فِيمَ ٱلْبَقَاءِ
إِذَا كُنْتَ تَجْهَلُ لُغْزَ ٱلْبَقَا ؟

لِماذا نَهيمُ وَراءَ ٱلظُّنونِ
لِماذا نُحِسُّ ؟ لِماذا نَرىٰ ..
يُعَذِّبُنا أَنَّنا تائِهونَ
نَؤُمُّ ٱلسَّرابَ وَنَشْكو ٱلصَّدىٰ
نَجُرُّ مَخاوِفَنا في ٱلظَّلامِ
وَنَخشىٰ عَلَيْها ٱنْقِضاضَ ٱلضُّحىٰ
حَمَلْنا ٱلْجِراحَ خِلالَ ٱلدُّروبِ
وَسِرْنا نَلُمُّ خُيوطَ ٱلْمُنىٰ
تُحَلِّقُ أَشْواقُنا بِٱلنُّجومِ
وَتَلصَقُ أَجْسادُنا بِٱلثَّرىٰ ..
أَلِلحُبِّ ؟ يا ضَيْعَةَ ٱلْأُمْنِياتِ
نُبَدِّدُها في ٱقْتِناصِ ٱلرُّؤىٰ

أَنَنْزِفُ أَدْمُعَنا .. وَٱلْعُهودَ

لِكافِرَةٍ ..

**آصف**

سَيِّدي ما ٱلنَّبا ؟ !

حَمَلْتَ لِبَلْقيسَ ما قَدْ حَمَلْتَ

فَكَيْفَ كَفَرْتَ بِهٰذا ٱللِّقا !

**سليمان**

سَلِ ٱلْقَلْبَ آصَفُ كَيْفَ ٱطْمَأَنَّ

فَوَشّى ٱلدُّروبَ وَزانَ ٱلرُّبى

لَقَدْ عِشْتُ أَحْمِلُها في ٱلْعُروقِ

وَأَسْمَعُ نُقْلَتَها في ٱلْحَشى

وَهاأَنَذا مُتْعَبٌ .. مُتْعَبٌ

تنوءُ ٱلطَّريقُ بِهِ إِنْ مَشىٰ

أَراها .. فَأُنْكِرُ هٰذا ٱلْفَراغَ

بِعَيْنَيْنِ تَدَّعِيانِ ٱلْهَوىٰ

وَأَنْظُرُ في وَجْهِها .. في ٱلْعُيونِ

فَتُنْكِرُ أَحْداقُها ما أَرىٰ

وَأَخْنُقُ فَوْقَ فَمي نَزْوَةً ..

فَيَصْرُخُ بي فَمُها ٱلْمُشْتَهىٰ

أَلَمْ تَرَها تَرْقُبُ ٱلنَّيِّراتِ

كَأَنَّ لَها تِرَةً في ٱلسَّما .. ؟

آصف

أَتَكْرَهُها .. ؟

**سليمان**

لَيْتَني أَسْتَطيعُ . .

**آصف**

وَماذا تَخافُ ؟

**سليمان**

أَخافُ الظَّما !

## سليمان ★ بلقيس

**بلقيس**

سُلَيْمانُ ما بِكَ ؟ إِنَّ ٱلشُّكوكَ

تُرَنِّقُ في ناظِرَيَّ ٱلْفَضا

شِفاهُكَ تَشْرَقُ بِالذِّكْرَياتِ
وَتَعْثُرُ بِالْحُلْمِ الْمُجْتَبىٰ
وَعَيْنُكَ مُتْعَبَةٌ تَطْمَئِنُّ
إذا أَطْبَقَتْ وَحْدَها في الدُّجىٰ
وَتُؤْثِرُ أَنْ نَلْتَقي في الظَّلامِ
كَأَنَّكَ تَخْشىٰ شُعاعَ الضُّحىٰ ..

**سليمان**

أُحِبُّكِ بَلْقيسُ .

**بلقيس**

قُلْ ما تَشاءْ
فَطَرْفُكَ يُشْفِقُ مِمّا رَوىٰ
هُنا في عُيونِكَ ..

سليمان

ماذا تَرينَ ؟

بلقيس

أرىٰ ٱلشَّكَّ يَحْدِجُنىٰ .. وَٱلْأَسىٰ

أخُنْتُ خيالَكَ ؟

سليمان

ماذا أقولُ ..

لَقَدْ كُنْتِ غَيْرَكِ ..

بلقيس

ماذا جَرىٰ ؟

أَلَمْ أَكُ حُلْمَكَ قَبْلَ ٱللِّقاء ؟

سليمان

فَدَيتُكِ بَلْقِيسُ ..

بلقيس

يا لَلْعَبا ..

أنا امْرَأةٌ وُلِدَتْ للتُّرابِ

وأَنْتَ ..!؟

سليمان

أَلَمْ تَعلَمي مَنْ أنا ..

أنا خالِقٌ أيْنَعَتْ راحَتاهُ

وأَوْرَقَ إزْميلُهُ في الثَّرى

خَلَقْتُكِ مِنْ رَغْبَتي في الْخُلودِ

وَشَوْقي لِعالَمِهِ الْمُنْتأى ..

وَقُلْتُ : أَنْعِمي بِائتِلاقِ ٱلصَّباحِ
بِوَشْيِ ٱلْحِراجِ .. بِقَطْرِ ٱلنَّدىٰ
وَعِشْتُ عَلَى قَلَقي أَسْتَشِفُّ
خَيالَكِ فَوْقَ تُخومِ ٱلدُّنىٰ
وَكُنْتُ أُرِيدُكِ لِلْكِبْرِياءِ
لِأَسْرِ ٱلنُّجومِ .. لِغَمْزِ ٱلدُّجىٰ
لِسَبْقِ ٱلْعَصافيرِ عِنْدَ ٱلْبُكورِ
لِلَمِّ ٱلظِّلالِ قُبَيْلَ ٱلْمَسا
لِأَرْضٍ مُنَوَّرَةٍ في ٱلرَّبيعِ
لِنارٍ مُسَعَّرَةٍ في ٱلشِّتا
لِعَهْدٍ نُوَثِّقُهُ بِٱلْعُهودِ ..
وَعُمْرٍ نُقَطِّعُهُ بِٱلْهَوىٰ

وَحُلْمٍ نَضُمُّ عَلَيْهِ ٱلْجُفونَ
وَنوغِلُ فيهِ وَراءَ ٱلْفَضا !

**بلقيس**

وَماذا رَأَيْتَ ؟

**سليمان**

رَأَيْتُ ٱلْخَيالَ
يَغَصُّ بِمَوْعِدِهِ ٱلْمُرْتَجى ..

**بلقيس**

سُلَيْمانُ ..

**سليمان**

بَلْقيسُ ..

بلقيس

ماذا عَراكَ ؟

سليمان

أُحِبُّكِ بلقيسُ ..

بلقيس

قُلْ ما تَشا ..

تغَيَّرْتَ ..

سليمان

مَنْ قالَ ؟

بلقيس

هذي ٱلْعُيونُ ..

**سليمان**

أَفي ناظِرَيَّ يَهونُ ٱلْهَوىٰ..!

**بلقيس**

وَقَلْبي وَقَلْبُكَ..

**سليمان**

مُسْتَوْحِشانِ

تَؤودُهُما ذِكْرَياتُ ٱلصِّبا..

**بلقيس**

أَتَكْرَهُ ماضِيَّ؟

**سليمان**

لا تَذْكُريهِ

فَإِنّي أَخافُ ٱنْقِضاضَ ٱلسَّما

هُوَ ٱلسُّمُّ تَشْقَى بِهِ ٱلْمُقْلَتَانِ
وَتُكْوَى ٱلْعُرُوقُ وَتَعْيَا ٱلرُّقَى
أَغَارُ أَغَارُ مِنَ ٱلذِّكْرَيَاتِ
وَأُنْكِرُ وَسْوَاسَهَا فِي ٱلْكَرَى
وَأَكْرَهُ كُلَّ يَدٍ هَدْهَدَتْكِ
وَغَاصَتْ أَنَامِلُهَا فِي ٱلشَّذَى ..
أَلَمْ تُرْسِلِي فِي ٱلْمَسَاءِ ٱلْبَلِيلِ
جَدَائِلَ يَعْبُدُهَا مَنْ رَأَى
وَأَلْقَيْتِ رَأْسَكِ فَوْقَ ٱلْوِسَادِ
فَضَجَّ ٱلْوِسَادُ وَجُنَّ ٱلدُّجَى
وَضَاقَ بِحُرْقَتِهِ ظَامِئٌ ..
فَهَمَّ بِعَيْنَيْكِ حَتَّى ٱرْتَوَى

أكَبَّ علىٰ فَمِكِ ٱلعَنْبَرِيِّ
فَرَوّىٰ ٱلْغَليلَ وَبَلَّ ٱلصَّدىٰ ..

بلقيس

سُلَيْمان !

سليمان

لا تُنْكِري ما أقولُ
فَلَمْ يَبْقَ في فِيَّ غَيْرُ ٱلْقَذىٰ
وماذا تُريدينَ ؟ إنّي أنامُ
وَعَيْناي تَلْتَهِمانِ ٱلمدىٰ ..
فَلا أنتِ ماضٍ عَفَتْهُ ٱلسِّنونُ
وَأقْفَرَ عالَمُهُ وَٱنْتَهىٰ

وَلا أَنْتِ حُلْمٌ يُضيءُ ٱلْجفونَ

وَيَطْوي ٱلدُّروبَ وَيُغْري ٱلرُّؤىٰ

**بلقيس**

أَتَكْرَهُني . .

**سليمان**

أَشْفِقي فَٱلجِّراحُ

تَكادُ تَسُدُّ عَلَيَّ ٱلْفَضا . .

لَكِ ٱلْقَلْبُ بَلْقيسُ قَبْلَ ٱللِّقاء . .

**بلقيس**

وَبَعْدَ ٱللِّقاءِ ؟ ؟

**سليمان**

وَبَعْدَ ٱللِّقا

أحاوِلُ أَنْ أَهْتَدي لِلْطَرِيقِ

وَأَعْلَمَ أَيَّ شَقِيٍّ أَنا ..

**بلقيس**

أنا .. أَمْ خَيالُكَ ضَلَّ ٱلْغداةَ

فَراعَ ٱلنُّجومَ وَداسَ ٱلسَّنا

سُلَيْمانُ ! قُلْ لي مَتىٰ نَسْتَريحُ

فَنَسْلو ٱلدُّموعَ وَنَطْوي ٱلأَسىٰ ؟

**سليمان**

أَقولُ ؟ وَماذا يَقولُ ٱلرَّبيعُ

إذا رَوَّعَتْهُ رِياحُ ٱلشِّتا ..

طَريقُكِ يوغِلُ خَلْفَ ٱلْقِفارِ

وَدَرْبي يَرودُ بِيَ ٱلْمُنْتَهىٰ !!

بلقيس

صَدَقْتَ سُلَيْمَانُ ..

سليمان

هَلْ تَغْفِرِينَ ..؟

بلقيس

أَأَمْلِكُ بَعْدَكَ غَيْرَ الرِّضا ..

أَنا في الذُّهولِ أَلُمُّ الوُعودَ

وَأَحْضُنُ كُلَّ خَيالٍ سَرىٰ

أَغُضُّ الجُفونَ عَلىٰ دَمْعَتَيْنِ

وَأَشْمَخُ هازِئَةً بِالْبُكا ..

وَقَصْرُكَ هٰذا الَّذي تَدَّعيهِ

وَتَقْنِصُ مِنْهُ ذُيولَ السَّما

سَأترُكُهُ في غَدٍ .. في الصَّباحِ

**سليمان**

فَدَيْتُكِ لا تُؤْذِني بِالنَّوىٰ

بِرَغْمِيَ أنَّكِ في ناظِرَيَّ

بَقِيَّةُ حُلْمٍ وَرُؤْيا هَوىٰ ..

أَتَبْقينَ بَلْقيسُ ..

**بلقيس**

رُدَّ الْعَزاءَ

فَلَسْتُ أُبالي أُفولَ الرَّجا

**سليمان**

أنا تائِهٌ أَتْعَبَتْهُ الظنونُ

وَضاقَ الطَّريقُ بِهِ وَالْتَوىٰ

أَرَدْتُكِ فَوْقَ ٱلْمُنىٰ وَٱلْخيالِ

فَأَلْقَيْتِ بي في ٱلسُّفوحِ ٱلدُّنىٰ

وَغُمَّ عَلَيَّ ٱلْفَضاءُ ٱلْعَريضُ

فَماذا أَقولُ . .

**بلقيس**

إِلىٰ الْمُلْتَقى . . !

## ٣

أَأَنْتِ وَراءَ ٱلْأُفْقِ أَمْ أَنا أَحْلُمُ
جَبينُكِ مُرْبَدٌّ وَطَرْفُكِ أَبْكَمُ
تَمُرُّ ٱلرُّؤىٰ مَقْهورَةً في دُروبِنا
وَيُنْكِرُنا ٱلنَّجْمُ ٱلْغَريبُ ٱلْمُلَثَّمُ
أُقَلِّبُ طَرْفي في ٱلْفَضاءِ فَيَرْتَمي
عَلىٰ أَنَّةٍ خَرْساءَ يَنْفُثُها ٱلدَّمُ

كَأَنَّ ٱللَّيالي أَجْفَلَتْ في مَدارِها

وَسالَ بِهـا جُرْحٌ وَغَـوَّرَ عَلْقَمُ

أَمُـدُّ يَـدي وَٱلذِّكْرياتُ تَهُزُّني

وَأُفْقِيَ يَبْـكي وَٱلشُّـكوكُ تُـدَوِّمُ

أُنَهْنِـهُ أَشْواقي وَأَدْفِـنُ في دَمي

بَقِيَّـةَ دُنْيـايَ ٱلَّتي كُنْتُ أَرْسُمُ ..

ثَوىٰ ٱللَّيْلُ في قَلْبي وَأَغْلَقَ ناظِري

وَضاقَ بِيَ ٱلْـوَهْمُ ٱلشَّقِيُّ ٱلْمُهَـدَّمُ

وَقَـفْتُ أَمامَ ٱلْأُفْقِ أُنْـكِرُ ماأَرىٰ

وَأَبْكي عَلىٰ أَيّامِنا وَهْيَ تَهْـرَمُ

وَقُلْتُ : نَخوضُ ٱليَمَّ ! فَٱنْهَدَّ قارِبي

وَهَمَّ بِـهِ نَـوْءٌ وَدَمْدَمَ عَيْـلَمُ

وَنادَيْتُ نَجْمي فَاُدْلَهَمَّ طَريقُهُ

وَأَدْرَكَنا ٱللَّيْلُ ٱلطَّويلُ ٱلْمُحَتَّمُ

تُدَفِّعُنا في كُلِّ ناحِيَةٍ يَدٌ

وَيَنْهَرُنا مِنْ كُلِّ زاوِيَةٍ فَمُ

وَكُنّا رِفاقَ ٱلنَّجْمِ ! مَوْعِدُنا ٱلسَّنا

وَمَنْزِلُنا هٰذا ٱلْمَدارُ ٱلْمُحَرَّمُ

وَكانَ لَنا ماضٍ وَكانَ لَنا هَوىً

فَما بالُنا نُدْعىٰ ٱلْغَداةَ فَنُحْجِمُ ؟ !

تَرَكْتُكِ في دَرْبي فَأَخْفَقَ مَوْعِدٌ

وَأَجْهَشَ إِشْراقٌ وَأَقْفَرَ مَعْلَمُ

وَأَطْرَقْتُ لا أَدْري وَقَدْ ضاقَ عالَمي

أَأَنْتِ وَراءَ ٱلْأُفْقِ أَمْ أَنا أَحْلُمُ !

١٩٥٤

# قصائد الكتاب

للشاعر

كانت لنا أيّام

الليـــل في الدروب

المطبعة الهاشميّة

دمشق ١٩٥٨